www.helmelarab.net

١ - الرعب ..

ارتفع أزيز متصل ، داخل قسم التحاليل الطبية ، في المستشفى المركزى ، وأضىء مصباح أزرق صغير ، في أحد الأركان ، ثم ارتسمت عدة رموز وكلمات وبيانات ، فوق شاشة كمبيوتر خاص ، وراحت الطابعة المتصلة به تنقل كل هذا إلى ورقة أنيقة ، تحمل شعار المستشفى والقسم ، وانتظرت الممرضة حتى انتهت الطابعة من عملها ، ثم التقطت الورقة المطبوعة ، وألقت عليها نظرة سريعة ، قبل أن تدفعها داخل جهاز خاص ، وهى تقول :

- نتائج التحاليل يا دكتور (حاتم) .

انتقلت الورقة في انسيابية ونعومة إلى جهاز مماثل ، في حجرة مكتب الدكتور (حاتم زهير) ، رئيس قسم أبحاث النمو بالمستشفى ، الذى التقط الورقة ، وقرأها في عناية ، قبل أن يرفع عينيه إلى الدكتور (محمد حجازى) ، قائلًا :

- كما توقعنا تمامًا .. كل النتائج طبيعية ، مع وجود آثار ضئيلة لمادة مجهولة ، تظهر في الدم بنسبة لا تكاد تذكر ، ويبدو أنها المادة التى سببت كل هذا .

سأله الدكتور (حجازى) في لهفة :

- ألا يمكننا عزل تلك المادة ، وتحليلها ؟
مطَّ الدكتور (حاتم) شفتيه ، وقال :
- إنها توجد بنسبة ضئيلة للغاية ، ومن العسير الحصول على كمية كافية لإجراء التحاليل منها ، حتى مع استخدام أجهزة التحاليل الحديثة ، ثم إنه من غير الممكن الاعتماد على نتائج تحليلها .
سأله فى حيرة :
- لماذا ؟.. أليست هى المادة المنشودة على الأرجح ؟
أجابه الدكتور (حاتم) :
- هذا احتمال كبير .. مجرّد احتمال .. ولكن حتى لو كانت هذه هى المادة المنشودة ، فهى ليست بالصورة التى نحتاج إليها ، فقد فقدت مفعول النمو الفائق ، وأصبح مفعولها عكسيًا .
بدت المرارة فى وجه الدكتور (حجازى) وصوته ، وهو يقول :
- هل فقدنا الأمل ؟
هزَّ الدكتور (حاتم) رأسه نفيًا فى حزم ، وهو يقول :
- مطلقًا .. إننا لم نبذل كل جهودنا بعد .
ثم خلع منظاره ، وهو يفكر لحظات فى صمت ، دون أن يرفع عينيه عن الدكتور (حجازى) ، وقال فى حذر :

- ربما لو ...
لم يتمّ عبارته ، ولكنه جعل الدكتور (حجازى) يسأل فى لهفة :
- لو ماذا ؟
صمت الرجل لحظات أخرى ، وهو يتطلّع إلى الدكتور (حجازى) فى صمت ، قبل أن يتنهّد ، قائلا :
- حسن .. الواقع أننى أجرى منذ فترة عدة تجارب حيوية ، حول عقار جديد للنمو ، وربما أمكننا تجربته على (نشوى) .
هتف الدكتور (حجازى) :
- لا مانع .. لو أنك تثق بأنه لن يسبّب لها ضررًا فادحاً .
تردّد الدكتور (حاتم) لحظة ، ثم قال :
- إنه لم يفعل هذا مع حيوانات التجارب ، ولكننا لم نختبر تأثيراته على البشر بعد .
هبَّ الدكتور (حجازى) من مقعده ، قائلا :
- ماذا تنتظر إذن ؟!.. استخدمه .
أجابه الدكتور (حاتم) فى حزم :
- فليكن ، ولكنك تعرف القانون .. سأحتاج إلى موافقة والديها .

تراجع الدكتور (حجازى) ، قائلاً :

- موافقة والديها؟! .. ولكنك تعلم أنهما ليسا هنا .. إنهما حتى لايدركان مايحدث لها ، ولكننى واثق بأنهما لن يترددا فى الموافقة ، عندما يعودان من مهمتهما .

هزّ الدكتور (حاتم) رأسه فى إصرار ، وقال :

- لايمكننى البدء ، دون موافقة صريحة من والديها .. وهذا قرار نهائى .

خفق قلب الدكتور (حجازى) فى قوة ، إزاء هذا الرفض العنيد ..

من أين يأتى بـ (نور) و (سلوى) الآن؟

إنهما فى أعماق الأرض ، يبحثان عن سر ذلك البركان ، الذى تفجّر فجأة ، فى قلب الصحراء الغربية ..

كيف يحضرهما إلى (القاهرة) ، فى الوقت المناسب؟! ..

وعلى الرغم من ذعره وتوتره ، لم يكن الدكتور (حجازى) يدرك سوى ربع الحقيقة فحسب ..

الربع الأكثر وضوحاً ..

أما الجزء الأعظم من المشكلة ، فكان يجهله تماماً ..

الجزء الخاص بذلك الرعب ، الذى يواجه (نور) وفريقه ..

رعب الأعماق ..

لقد هبط الجميع داخل الفجوة ، وهم يتصوّرون أنهم سيواجهون ظاهرة جيولوجية عجيبة فحسب ، ولكنهم وجدوا أنفسهم فى مواجهة ما هو أكثر خطورة ..

مخلوقات من عالم آخر ، جاءت إلى الأرض منذ ملايين السنين ، بعد فناء كوكبها ، وقرّرت بناء حضارة جديدة فوقها ..

ثم جاء العصر الجليدى ، ولم تحتمل هذه المخلوقات البقاء ، فقامت بتجميد عشرة منها ، مع عينات من النباتات والحيوانات لتبقى ، وتستيقظ بعد انتهاء العصر الجليدى ، فترث الأرض وما عليها ..

وتأخّرت لحظة الاستيقاظ ..

تأخّرت ملايين السنين ..

وعندما استيقظت المخلوقات ، كانت الحضارة قد بلغت ذروة لابأس بها ، على كوكب الأرض ..

وشعرت المخلوقات العشرة بالخوف وعدم الأمان ..

وراحت تقاتل دفاعاً عن وجودها ..

وتفرّق أفراد الفريق ، ووجد (رمزى) نفسه داخل معبد تلك المخلوقات ، فى حين سقط (محمود) فى حوض أسماك عملاقة ، ووقع (نور) و (سلوى) فى الأسر ..

وكجزء من طقوس وثنية رهيبة ، وضعت المخلوقات الستة المتبقية (نور) و (سلوى) داخل قفص من الصلب ،

راح يتدلى بهما إلى قلب الجحيم ، وينخفض .. وينخفض .. وينخفض .. وينخفض(*) !

* * *

فجأة ، استعاد (رمزى) وعيه ..

كل ما شعر به هو أن عقله قد استيقظ دفعة واحدة ، إلا أن عينيه لم تلتقطا سوى الظلام الدامس ، الذى يحيط به من كل صوب ، وبدت أطرافه ثقيلة ، جامدة ، حتى عجز عن تحريكها ، فتمتم فى ألم :

- ما الذى فعلوه بى ؟.. هل أصابونى بنوع من الشلل مثلاً ؟

حاول مرة أخرى أن يحرّك أطرافه ، إلا أنها رفضت الاستجابة له تمامًا ، فترك جسده يسترخى ، وهو يحاول دراسة الموقف ..

كان راقداً فوق شىء أملس ، من قطعة واحدة ، وهناك قطع معدنية تلتصق بأصابعه ، وتشدها إلى ذلك الشىء الأملس فى قوة ..

ربما هو مغنطيس قوى ، أو ..

(*) لمزيد من التفاصيل راجع قصة (البركان) .. المغامرة رقم ٨٩

توقفت أفكاره بغتة ، مع ذلك الصوت ، الذى تناهى إلى مسامعه وسط الظلام ..

صوت جسد يزحف فى بطء ..

وتجمّدت الدماء فى عروقه ..

هناك شىء ما يتجه إليه حتماً ..

كائن حى ..

ومن المؤكّد أنه كائن ضخم ، كما تشير حركته ، التى تنقل هذا الصوت الواضح ..

ومرة أخرى حاول أن يتحرّك ، وأن يتملّص من قيوده ، إلا أن المحاولة بدت له مستحيلة ، فاستسلم ثانية ، وعقله يرسم صورة مفزعة مخيفة ..

صورة لكائن خرافى رهيب ، له عيون هائلة حمراء مخيفة ، وأنياب طويلة حادة ، وتكوين أسطورى مفزع .

كائن يزحف نحوه فى بطء ، ويهمّ بالتهامه ..

واستعاد عقله ذكرياته الأخيرة ..

لقد وصل إلى المعبد ، الذى صنعته تلك المخلوقات ، فى باطن الأرض ، وشاهد ذلك الوجه الضخم ، المحفور على الجدار ، والمخلوق الذى يجثو على ركبتيه أمامه ..

ثم هوت تلك الضربة على مؤخرة رأسه ، وفقد الوعى ..

إذن فقد دنّس معبدهم ، فحكموا عليه بالموت ، وتركوه

مع هذا المخلوق ، الذى يزحف نحوه ، ويهمّ بالتهامه ..

وارتجف قلبه فى هلع ، والزحف يقترب أكثر وأكثر ، مع صوت أشبه بالفحيح ..

فحيح أفعى هائلة ..

هائلة بحق ..

* * *

تجمدت أطراف (محمود) تماما ، وهو يحدّق فى زوج من أعين كائن بحرى هائل ، يشبه ثعبان بحر عملاقًا ، ورأى فكّى الكائن ينفتحان ، وأنيابه الهائلة تبرز ..

وبحركة انسيابية ناعمة ، انقضّ الكائن البحرى عليه ، وارتفعت أنيابه ..

ثم هوت ..

وانتفض جسد (محمود) فى عنف ، عندما وجد نفسه داخل الكائن ، وشعر بشىء خشن يتحسّسه ، كلسان ضخم ، فانتزع مسدسه الليزرى فى حركة غريزية سريعة ، وهو يسأل نفسه فى ذعر :

ـ هل تؤثر أشعة مسدسه فى ذلك الكائن ؟..

وضغط (محمود) زناد المسدس ..

وانطلقت الأشعة ..

ومرة أخرى انفتح الفكان ، واندفع جسد (محمود) إلى الخارج ، وسط عاصفة من الفقاعات الضخمة ، أحاطت به من كل صوب ..

وفى قوة وسرعة ، راح (محمود) يضرب الماء بساعديه ، وهو يطلق أشعة مسدسه يمينًا ويسارًا ، حتى شعر بالهواء من حوله ، ورأى حافة الحوض ، فتشبّث بها ، ودفع جسده كله إلى أعلى ، وهو يهتف :

ـ ابتعد .. ابتعد أيها الكائن القذر ..

ألقى جسده على إطار الحوض ، وراح يلهث فى قوة ، ويستنشق الهواء ، وهو يلقى نظرة متوترة على تلك الكائنات العملاقة ، التى تسبح داخل الحوض ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد نجحت ، ولفظنى ذلك الوحش .

ثم ابتسم فى تهالك ، وأضاف :

ـ ولكنه سيحتاج حتمًا إلى طبيب أسنان ماهر .

لبث بضع لحظات ، ولهاثه يخفت رويدًا رويدًا ، ثم لم يلبث أن نهض جالسًا ، وأدار عينيه فى المكان ، وهو يتمتم :

ـ لابد من وجود مخرج آخر من هذا الشىء .. لابد .

نهض يسير على حافة الحوض فى حذر ، ويتحسّس الجدران لحظة فلحظة ، ثم يعود ليلقى نظرة قلقة على

الحوض ومخلوقاته ، قبل أن يتوقف إلى جوار رسم لوجه ضخم ، يشمل جزءًا من الجدار ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه لا يوجد مخرج آخر .. لامفر من عبور صاعقة الجليد هذه مرة أخرى .

تحسَّس الرسم بيده فى حذر ، ثم شعر بجزء يغوص تحت أصابعه ، فدفعه إلى الداخل ، مغمغمًا :

ـ ترى لو ..

انفتح ذلك الجزء من الجدار فجأة ، وهو يدفعه بيده ، فاختلَّ توازنه ، ووجد نفسه يسقط فجأة إلى الأمام ، ويتدحرج فوق ممر مائل إلى أسفل ، ورأى الجدار يُغلق خلفه ، فصاح :

ـ كفاكم .. لقد سئمت هذه المفاجآت .

تردَّد صدى صيحته داخل الممر ، وهو يتدحرج داخله إلى أسفل ..

ويهوى ..

ويهوى ..

★ ★ ★

غادر المخلوقات الستة القاعة الضخمة فى لامبالاة ، وتركوا القفص الذى يضمّ (نور) و (سلوى) ينخفض ، ويغوص فى الفجوة العميقة ، نحو الحمم الملتهبة فى قاعها ، وانهارت (سلوى) تمامًا ، وهى تصرخ :

ـ لقد فعلوها يا (نور) .. فعلوها .

لم يجب (نور) ، وهو يبحث فى سرعة عن وسيلة للفرار ، من ذلك المصير البشع ، وراحت أصابعه تدرس قفل القفص فى سرعة ، وحرارة الحمم تلفحه ، ويسيل العرق الغزير على وجهه وعينيه ، ثم لم يلبث أن سأل (سلوى) :

ـ هل ترتدين ساعتك الخاصة ؟

تمتمت فى انهيار :

ـ لقد فعلوها .. ستلتهمنا الحمم بلا رحمة .

أمسك كتفيها ، وهزَّها فى قوة ، وهو يهتف بها :

ـ هل ترتدين ساعتك يا (سلوى) ؟

حدَّقت فى وجهه بارتياع ، فهتف :

ـ (سلوى) .. أجيبى بالله عليك .

رفعت يدها إليه ، وهى تقول بصوت شاحب مرتجف :

ـ ها هى ذى .

حل الساعة من حول معصمها ، وأدناها من قفل القفص ، وهو يضغط أحد أزرارها الجانبية ، والقفص يواصل انخفاضه نحو الحمم ، وسألته (سلوى) :

ـ ماذا تفعل ؟

أجابها فى توتر شديد :

- هذا القفل يشبه الأقفال الإليكترونية التى نستخدمها على الأرض ، وربما نجحت برامج الترددات المتغيرة فى ساعتك ، فى حل شفرته ، وفتحه .

أجابت فى شحوب شديد ، وهى تشعر بالحرارة المتزايدة :

- هل تظن هذا ؟

لم يجب عن سؤالها ، وهو يغير الترددات فى سرعة ..

كانت الحرارة تتزايد أكثر وأكثر ، والقفص يقترب فى بطء من الحمم الملتهبة ، وقلبه يخفق بين ضلوعه فى قوة ، فى حين يكاد قلب (سلوى) إلى جواره يتوقف من شدة الرعب ، وساعتها تطلق ذبذبات فوق صوتية ، بترددات مختلفة ، تتغير كل ثانية ..

وفى يأس ومرارة ، قالت (سلوى) :

- لافائدة يا (نور) .. من الواضح أن هذه الأقفال لا ...

قبل أن تتم عبارتها ، سمعت فجأة تكة خافتة ، انتفض لها قلبها بين ضلوعها ، وهى تقول :

- (نور) .. هل ؟

رأته يدفع باب القفص ، ثم يصيح بها :

- هيا .. تعلقى بى .

كانت الحرارة تتزايد أكثر وأكثر ، والقفص يقترب فى بطء من الحمم الملتهبة ، وقلبه يخفق بين ضلوعه فى قوة ..

انتعش الأمل فى نفسها مرة أخرى ، وأسرعت تتعلق به ، وهو يمسك الحاجز العلوى للقفص ، ويصعد فوقه ، ثم يعاونها على الصعود ، ويقول :

ـ سنتسلق هذا الحبل .. إنها فرصتنا الوحيدة .

ألقت نظرة سريعة على الحمم ، التى اقترب منها القفص كثيرا ، ثم راحت تتسلق الحبل فى سرعة ، وتسلق هو خلفها .. .

كانا يحتاجان إلى مهارة فائقة ، فى هذا المضمار ، فالحبل ينخفض باستمرار ، والأبخرة المتصاعدة من الحمم تجعل الحرارة لاتطاق ، على الرغم من الزى الذى يرتديانه ، وهتفت (سلوى) :

ـ لولا هذا الزى لقتلتنا الحرارة .

قال (نور) فى حزم :

ـ لاوقت لمناقشة هذا .

واصلت تسلقها فى سرعة ، ورأت فى أثناء صعودها تلك الفجوات الواسعة ، فى جوانب الفجوة ، وهمت بسؤال (نور) عما يعنيه وجودها ، إلا أن (نور) حثها على الإسراع ، فتسلقت أسرع وأسرع ، وشعرت بألم فى ساعديها ووسطها ، ولكنها احتملت ، وواصلت ، و ..

وفجأة بلغ القفص الحمم ..

ومع وصوله ، صدرت فرقعة مخيفة ، كما لو أن الحمم تلتهم القفص فى شراسة مدهشة ، فهتفت (سلوى) :

ـ كان يمكن أن نكون داخله .

رأى (نور) فتحة الفجوة تقترب ، فقال فى حسم :

ـ فلنحمد الله سبحانه وتعالى ، على أننا لم نكن كذلك .

تصاعدت حولهما أبخرة كثيفة ، وقالت (سلوى) :

ـ من الواضح أن القفص يتفاعل مع الحمم .

هتف بها (نور) :

ـ اصعدى أولًا .

ومن تحتهما صدرت تلك الفرقعة ..

فرقعة مخيفة ، اقترنت بتضاعف كثافة الأبخرة المباغت ، فنظر إلى أسفل ..

وعاد قلباهما يهويان بين أقدامهما ..

لقد ارتفعت الحمم فجأة ، وانتفضت فى قوة ، ثم انطلقت إلى أعلى كالصاروخ ..

انطلقت نحوهما .

* * *

٢ ـ فى الأعمـــاق ..

اتجهت أضواء الكشافات القوية نحو الفجوة الواسعة ، التى أحيطت بعدد كبير من أجهزة الفحص والكشف ، وراح فريق من الرجال والنساء يتحرّك فى أرجـاء المكان ، فى نشاط جم ، على الرغم من أن عقارب الساعة قد تجاوزت الثانية ، بعد منتصف الليل ، واتجه أحد مساعدى الدكتور (ناظم) إلى حجرة كبيرة ، لها جدار زجاجى ضخم ، يطلّ على الفجوة مباشرة ، وطرق بابها فى هدوء ، وهو يقول :

ـ دكتور (ناظم) .. هل يمكننى الدخول ؟

فرك الدكتور (ناظم) عينيه فى تهالك ، وأشار إلى الشاب ، من خلف الجدار الزجاجى ، فدفع الشاب الباب ، ودخل إلى الحجرة ، وألقى نظرة مشفقة على الدكتور (ناظم) ، وهو يضع أمامه قدحًا من القهوة المركّزة ، قائلًا فى صوت خافت ، وكأنما يخشى إزعاج رئيسه :

ـ قهوتك يا سيّدى .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه فى تهالك ، وقال :

ـ أشكرك يا ولدى .. لقد أتيت بها فى موعدها تمامًا .

قال الشاب متعاطفًا :

ـ سيّدى .. لماذا لاتحصل على بضع ساعات من النوم ؟.. إنك تعمل منذ صباح أمس بلا انقطاع .

ابتسم الدكتور (ناظم) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ كيف أنام ، وأنا أتابع موقفًا عصيبًا كهذا ؟

قالها وهو يشير إلى كل الأجهزة والمعدات ، التى تحيط به ، والتى حوّلت الحجرة ، التى تمت إقامتها منذ بضع ساعات فحسب ، إلى مركز متكامل للمراقبة والمتابعة ، بكل مايحويه من أجهزة كمبيوتر ، وشاشات رصد ، ومعدات أخرى ، فقال مساعده :

ـ نحن هنا لمتابعة هذا ياسيّدى ، وسنوقظك عند اللزوم .

ارتشف الدكتور (ناظم) رشفة من قدح القهوة ، وهو يقول :

ـ فيما بعد يا فتى .. فيما بعد .. ما هى إلا بضع ساعات أخرى ، ولايعود أمامى سوى النوم ملء جفنىّ .

سأله مساعده :

ـ أتعنى بعد عودة (نور) وفريقه ؟

صمت الدكتور (ناظم) بضع لحظات ، وقال :

ـ لا أحد يدرى ما إذا كان (نور) وفريقه سيعودون أم لا .. لا أحد حتى يدرى ماذا يصيب كل من يدخل تلك الفجوة الرهيبة ، فلا أحد يعود منها ليخبرنا ماراه أو سمعه .

جلس مساعده على المقعد المقابل له ، وقال :
ـ ما الذى ننتظره إذن .
أشار الدكتور (ناظم) إلى الأفق ، عبر الجدار الزجاجى ، وهو يقول :
ـ الفجر .. ننتظر بزوغ الفجر ياولدى .
سأله الشاب فى اهتمام :
ـ وماذا سيحدث عندئذ ؟
صمت الدكتور (ناظم) لحظات أخرى ، ثم أجاب فى حزم :
ـ عندئذ ، ولو لم يتم حل المشكلة ، أو كشف غموض هذا اللغز ، سننسف تلك الفجوة ، وندمرها تمامًا .
قال الشاب فى انفعال :
ـ ننسفها ؟!
أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :
ـ نعم ياولدى .. لدى أوامر بنسفها ، وتدميرها عن آخرها ، عند بزوغ الفجر ، حتى ولو لم يعد منها (نور) وفريقه .
بدا الانفعال على وجه الشاب ، وهو يقول :
ـ رباه ! .. أتعنى أنه حتى ...
قبل أن يتم عبارته ، أضاءت شاشة الكمبيوتر فجأة ،

وانطلق منه صفير قوى ، وهو يقول بالصوت المعدنى الجامد :
ـ إنذار .. إنذار .. البركان يستعد للانفجار مرة أخرى .. انذار .
وهوت القلوب بين الأقدام ..
سينفجر البركان مرة أخرى ..
أو مرة أخيرة ..

* * *

تجمدت الدماء فى عروق (رمزى) ، وهو يرهف السمع إلى ذلك الفحيح ، الذى يقترب منه رويدًا رويدًا ، حاملًا الموت فى اقترابه ، وتمتم لنفسه فى عصبية :
ـ لماذا لاينقض ذلك الشىء ، وينهى مهمته على الفور ، بدلًا من الانتظار والتوتر ؟
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى توقّف صوت الزحف ، وارتفع الفحيح على قيد خطوات منه ، فى الظلام الدامس ، وبدا وكأن رأس مخلوق ضخم يرتفع إلى أعلى ، حتى لقد صار الفحيح فى أذنيه مباشرة ..
وارتجفت كل خلية فى جسد (رمزى) ..
واحتبست أنفاسه ..
كان يعلم أن ذلك المخلوق قد تأهب ، واستعد لالتهامه ..

وخفق قلبه فى قوة ..
وجف لعابه ..
وانتظر مصيره ..
و ...
وفجأة ارتفع ذلك الصوت ..
صوت شىء يتدحرج فى سرعة ، ويتجه نحو المكان ..
وتوقف الفحيح دفعة واحدة ..
وتعالى صوت ذلك الشىء ، حتى بلغ المكان ، وارتطم بأرضيته فى قوة ، مع شعاع من الضوء ، وصوت يهتف :
ـ أخيرًا .
وعلى الرغم من أنها كلمة واحدة ، نطقها الشخص الذى سقط فى المكان ، إلا أن أذنى (رمزى) قد ميزتا الصوت وصاحبه ، وهتف فى لهفة :
ـ (محمود) .. أهو أنت ؟
سمع (محمود) يهتف فى دهشة :
ـ (رمزى) ؟! .. أين أنت ؟ .. أين أنت يا (رمزى) ؟
ثم شاهد ضوء مصباح (محمود) يتحرك فى اتجاهه ..
وتجمدت الدماء فى عروقه بحق ..
لقد وقع الضوء على ذلك المخلوق ، الذى كان يسمع فحيحه حتى لحظات مضت ، وشهق (محمود) فى ذعر ، فى حين اتسعت عينا (رمزى) فى رعب شديد ..

كان ذلك المخلوق فى شكل ثعبان ضخم ، له رأسان ، كل منهما فى حجم سيارة كبيرة ، وأنيابه تلتمع مع ضوء المصباح ، وهو يستدير لمواجهة (محمود) ، الذى تراجع هاتفًا :
ـ رباه ! .. ما هذا الشىء ؟
تغلب (رمزى) على أثر المفاجأة ، وصرخ :
ـ اقتله يا (محمود) .. اقتله .
صوب (محمود) مسدسه إلى ذلك الثعبان ، الذى حرك رأسيه فى صمت ، قبل أن يطلق فحيحًا مزدوجًا ، ويتراقص لسانه المشقوق عبر أحد فكيه ، فى نفس الوقت الذى برزت فيه أنياب الفك الآخر ، و (محمود) يغمغم :
ـ هذا الشىء يحتاج إلى ضربة مزدوجة .
صرخ (رمزى) :
ـ اقتله يا (محمود) .
وفى نفس اللحظة انقض الثعبان ذو الرأسين على (محمود) ، الذى قفز جانبًا ، وأطلق أشعة مسدسه ، صارخًا :
ـ القول سهل يا (رمزى) ، ولكن ماذا عن الفعل ؟
أصابت أشعة المسدس أحد الرأسين ، وتراجع الثعبان

بحركة حادة ، وقد سقط الرأس المصاب متراخيًا ، وخبت الحياة فى عينيه ، ثم انقضّ الثعبان مرة أخرى ، وهو يطلق فحيحًا عنيفًا ، فأطلق (محمود) أشعة مسدسه مرة ثانية ، صائحًا :

ـ ابتعد أيها المخلوق .. ابتعد وإلا ..

أصابت أشعته رأس المخلوق الثانى ، إلا أن الثعبان واصل اندفاعه نحوه ، فتراجع فى حدة ، وسقط مسدسه أرضًا ، وهو يهتف :

ـ اللعنة !

سقط أرضًا ، وتوقع الانقضاضة القاتلة ، إلا أن الثعبان الضخم سقط إلى جواره صامتًا هامدًا ، فتطلع إليه بدهشة ، قبل أن يصرخ فرحًا :

ـ لقد انتصرت يا (رمزى) .

قال (رمزى) فى عصبية :

ـ أهنئك .. ولكن هيا .. حل عنى هذه القيود اللعينة ، ودعنا نغادر هذا المكان .

التقط (محمود) مسدسه ، وأسرع إليه ، هاتفًا :

ـ هل رأيت كيف تغيرنا كثيرًا ، منذ قتالنا مع الغزاة(*) ؟.. لو أننى واجهت مثل هذا الموقف من قبل ، لما جرؤت حتى على تصويب مسدسى إليه .

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

قال (رمزى) :

ـ هذا عظيم .. حل قيودى أولًا ، وسنناقش هذا فيما بعد .

انحنى (محمود) يفحص قيود (رمزى) ، قبل أن يقول فى حيرة :

ـ ما نوع هذه القيود ؟.. إنه معدن عجيب ، لم أر مثيلًا له من قبل ، فهو يلتصق بالقاعدة ، كما لو كان قطعة منها .

قال (رمزى) فى توتر :

ـ ولكن هناك حتمًا وسيلة للتحرر منها .. ابحث يا (محمود) .. أرجوك .

أجابه (محمود) :

ـ اهدأ ياصديقى .. إننى أفحصها بالفعل .

هتف (رمزى) فى حدة :

ـ ليس لدينا وقت الدنيا كله لفحصها يا (محمود) .. ربما يباغتنا هؤلاء القادمون من الفضاء ، فتفشل العملية كلها .

قال (محمود) ، وهو يشير إلى قرص مستدير ، فى طرف القاعدة :

ـ ربما كان هذا الشىء هو ...

قبل أن تمتدّ يده إلى القرص ، ارتجّ المكان كلـه

فى عنف ، وانطلقت من أعماق الأرض زمجرة عنيفة ، فهتف (رمزى) فى ذعر :

ـ أسرع يا (محمود) .. لقد ثار البركان مرة أخرى ، وستلتهمنا الحمم .. أسرع ..

ولكن (محمود) تجمّد فى مكانه فى رعب ، وهوى قلبه بين قدميه ..

لقد ثار البركان ، وستلتهمهما الحمم .

ستلتهمهما بلا رحمة ...

* * *

حدّق الدكتور (ناظم) فى شاشة الكمبيوتر لحظة واحدة ، انتفض خلالها قلبه بين ضلوعه ، ثم صاح فى هلع :

ـ أسرعوا .. أسرعوا .

واندفع خارج حجرته الزجاجية ، التى راحت جدرانها ترتجّ فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ أخلوا المكان .. ابتعدوا بأقصى سرعة .. سيثور البركان مرة ثانية .

لم يكن بحاجة فعليًا لهذا التحذير ، فقد شعر الجميع بالارتجاج ، وتلقّوا الإنذار ، وراحوا يعدون فى كل صوب ، ويسرعون إلى سياراتهم ، وهتف مساعد الدكتور (ناظم) :

ـ وماذا عن كل هذه المعدات ؟.. إنها تساوى ملايين الجنيهات .

أجابه الدكتور (ناظم) ، وهو يقفز داخل سيارته الصاروخية :

ـ حقًا ؟! وكم تساوى حياتنا ؟

حجب الجزء الثانى من عبارته دوى انفجار الجدار الزجاجى لحجرته ، فقفز مساعده إلى المقعد المجاور له ، وهو يهتف فى ذعر :

ـ انطلق ياسيّدى .. ابتعد بالله عليك .

انطلقت مجموعة من السيارات ، مبتعدة عن الفجوة ، التى تصاعدت منها أبخرة كثيفة ، وراحت جدرانها تتهاوى بسرعة ، وهتف مساعد الدكتور (ناظم) :

ـ ستنفجر الحمم بعد لحظات .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انطلقت الحمم من الفجوة .. لم تنطلق بنفس القوة ، التى انطلقت بها فى المرة الأولى ، وإنما تدفّقت على جوانب الفجوة ، لمسافة مائة متر فحسب ، وتصاعدت منها فقاقيع قوية ، وأبخرة سوداء هائلة ، قبل أن يهدأ كل شىء ، وتنسحب الحمم مرة أخرى داخل الفجوة ..

ومن بعيد ، توقّفت السيارت الهاربة ، ووضع الدكتور (ناظم) مِنظاره المقرّب على عينيه ، وهو يقول :

- انتهت الثورة هذه المرة ، ولكنها التهمت كل شيء .

تمتم مساعده :

- هل التهمت المعدات كلها ؟

تنهد الدكتور (ناظم) ، وقال فى مرارة :

- ليس المعدات وحدها يا فتى .

لم يفهم المساعد ما يعنيه الدكتور (ناظم) ، ولكن هذا الأخير رفع يده ، وهو يهتف بفريق السيارات التابع له :

- استعدوا يا رجال .. سنعود إلى هناك .

تردد الرجال لحظة ، وسأله أحدهم ، عبر جهاز الاتصال اللاسلكى :

- ألا يحتمل أن يثور البركان مرة أخرى ؟

هز الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا ، وعاد يلقى نظرة على المكان ، قبل أن يجيب فى صوت يحمل رنة يأس ومرارة :

- لا .. لست أظنه يفعل .

ثم أدار محرك سيارته ، وانطلق عائدًا إلى الفجوة ، وتبعه فريق السيارات فى بطء ، كما لو كانوا موكبًا جنائزيًا كئيبًا ، حتى بلغوا أقرب منطقة يمكن الوصول إليها ، فتوقف الجميع ، وهبط الدكتور (ناظم) يفحص المنطقة التى بلغتها الحمم ، قبل أن يتمتم :

- يا للخسارة !

ثم اعتدل ، مستطردًا :

- أريد خبيرًا جيولوجيًا .

تمتم مساعده فى صوت خافت :

- ما رأيك فى الدكتور (جمال) ؟ هل نرسل فى طلبه ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى حزم :

- أريده بعد ساعة واحدة على الأكثر .

أسرع المساعد لتنفيذ الأمر ، فى حين التفت الدكتور (ناظم) إلى أحد أفراد فريقه ، وقال :

- هيا .. اتخذوا كل الاستعدادات اللازمة .. سننسف الفجوة ، ونردمها كلها .

سأله الرجل فى قلق :

- وماذا عن الرائد (نور) وفريقه ، ورجال الأمن الذين ... ؟

قاطعه الدكتور (ناظم) بإشارة من يده ، وهو يقول :

- ماذا تقول يا رجل ؟ .. من يمكن أن يبقى على قيد الحياة فى الداخل ، بعد أن بلغت الحمم الملتهبة قمة الفجوة ؟

ثم هز رأسه فى مرارة ، وقال :

- لقد انتهى الفريق هذه المرة يا ولدى .. انتهى تمامًا .

وبدأت استعدادات النسف .

* * *

٣ ـ الضــياع ..

تطلعت (نشوى) فى قلق إلى الجهاز الصغير ، الذى ألصقه الدكتور (حاتم) بذراعها ، وسألته :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أجابها وهو يمنحها ابتسامة مشجعة :

ـ مجرد محقن إليكترونى ، سيعمل على حقنك بنسب دقيقة ومحدودة من عقار نمو جديد ، سنحاول بوساطته إيقاف المفعول الرجعى للعقار الذى استخدمه معك رجال الفضاء .

سألته فى توتر :

ـ ولماذا لاتستخدم محقنًا عاديًا ؟

أجاب فى هدوء :

ـ كمية العقار ينبغى أن تكون شديدة الدقة ، حتى أنه من المستحيل أن ينجح بشرى فى تقديرها .

تمتمت :

ـ هكذا ؟

ابتسم مشجعًا مرة أخرى ، وقال :

ـ نعم .. هكذا .

ثم اتجه إلى باب الحجرة الصغيرة ، التى ترقد داخلها ، وهو يستطرد :

ـ سأتركك وحدك الآن ، فالتجارب تؤكد ضرورة حقنك بالعقار ، فى درجة حرارة بالغة الدقة أيضًا ، وهذه الحجرة ستعاوننا على تحقيق هذا .

قالت فى عصبية :

ـ هل ستتركنى وحدى ؟

تطلع إليها لحظة متعاطفًا ، وهو يقول :

ـ أتخافين الأماكن المغلقة ؟

نظرت إليه فى حيرة ، وهى لاتجد ماتقول ، ثم لم تلبث أن أشاحت بوجهها ، متمتمة :

ـ كلا .

لم تكن تدرى حقًا كيف تفسر ذلك الخوف الشديد ، الذى يسرى فى عروقها ، خشية أن يتركها فى الحجرة وحدها ! ..

أهو خوف طفولى ، وجد طريقه إليها ، مع الانخفاض المتواصل فى عمرها ؟!

أم هو شعورها الرهيب بالوحدة ؟! ..

ذلك الشعور الذى يملأ نفسها ، منذ كشفت مايحدث لها ..؟

الشعور الذى تزايد وتضاعف ، منذ تركها والداها ، وصحبهما (رمزى) ، فى تلك المهمة الغامضة ، فى أعماق الأرض ؟

وربما هو الخوف من مصيرها المجهول!

أو مزيج من كل هذا!..

كتمت مشاعرها ومخاوفها فى أعماقها، وتركت الدكتور (حاتم) يغادر الحجرة، ورأته يتطلع إليها عبر جدار من الزجاج السميك، وإلى جواره يجلس الدكتور (حجازى)، يراقبها فى قلق وتعاطف، وسمعت الدكتور (حاتم) يقول، عبر جهاز اتصال خاص:

ـ هل أنت مستعدة يا فتاتى؟

تمتمت:

ـ نعم.. مستعدة.

ضغط زرًا صغيرًا أمامه، فخفتت الأضواء فى حجرتها الصغيرة، وارتفعت الحرارة تدريجيًا فى بطء، والدكتور (حاتم) يقول، عبر جهاز الاتصال:

ـ لاتشعرى بأى قلق.. سترتفع درجة الحرارة إلى سبع وثلاثين درجة مئوية، وعندئذ سيعمل المحقن آليًا، ويدفع كمية محسوبة بمنتهى الدقة، من العقار الجديد فى عروقك.

أومأت برأسها إيجابًا، وأعجزها ذلك الجفاف فى حلقها عن الرد، واستسلمت تمامًا لما سيحدث، وإن لم تستطع منع تلك الرجفة، التى تسرى فى أوصالها، وهى تراقب مؤشر الحرارة، الذى يرتفع فى بطء..

وفى حجرة المراقبة الجانبية، تمتم الدكتور (حجازى):

ـ مانسبة نجاح التجربة؟

أشار الدكتور (حاتم) إلى جهاز الاتصال المفتوح، وهو يقول بحماس مفتعل:

ـ عظيمة!

ثم كتم جهاز الاتصال بيده، وهمس:

ـ لاأحد يمكنه الإجابة عن هذا السؤال، فهى أول تجربة للعقار الجديد على البشر.

أومأ الدكتور (حجازى) برأسه متفهمًا، وأشار إليه ليرفع يده عن جهاز الاتصال، ثم تنهد، واسترخى فى مقعده، يراقب (نشوى)، التى ترقد على فراشها مستسلمة، ونقل بصره منها إلى مؤشر الحرارة، قبل أن يسأل:

ـ ما الحكمة من رفع درجة حرارة الحجرة؟

أجابه الدكتور (حاتم):

ـ مع ارتفاع درجة الحرارة ستتسع عروقها، و...

اقتحمت (مشيرة) الحجرة، فى هذه اللحظة، وقطعت حديثه، وهى تهتف:

ـ لقد ثار البركان مرة أخرى.

هتف الدكتور (حجازى) فى هلع:

- ماذا ؟! ..

أجابت (مشيرة) فى انفعال جارف :

- لم تكن ثورته كالسابقة ، ولكن الحمم تصاعدت من جوفه إلى السطح .

قال الدكتور (حاتم) فى توتر :

- وما الذى يعنيه هذا ؟

أجابته فى انهيار :

- لقد حدث كل هذا و (نور) وفريقه داخله .

شحب وجه الدكتور (حجازى) ، وهو يقول :

- ماذا ؟ .. كانوا داخله .

هتف الدكتور (حاتم) فجأة :

- كفى .

ثم تعلق بصره بعدد من الشاشات أمامه ، وهو يستطرد فى عصبية :

- لقد أفسدتما كل شىء ..

نقلا بصريهما بسرعة إلى الشاشات ، التى أشارت كلها إلى انفعال جارف ، يعصف بنفس (نشوى) ، وهتف الدكتور (حجازى) فى ارتياع :

- يا إلهى ! .. جهاز الاتصال ! .. لقد سمعت (نشوى) كل شىء .

وهنا .. هنا فقط انفجرت (نشوى) ..

انفجرت باكية ..

* * *

أشار الدكتور (ناظم) إلى الفجوة ، التى اتسعت كثيرًا ، وهو يقول للخبير الجيولوجى الدكتور (جمال) :

- هذا هو الموقف كله ، وأنا أريد نسف الفجوة ، بقنبلة ذرية محدودة التأثير ، ذات نشاط إشعاعى منخفض ، فما هى النتائج المتوقعة لهذا ؟

مطَّ الدكتور (جمال) شفتيه ، وقال :

- لم يحدث هذا قط من قبل ، ولكننا أمام حالة غير تقليدية ، فالبركان عبارة عن فتحة فى قشرة الأرض ، تتصاعد منها الغازات ، وتقذف الصخور مصهورة وصلبة ، وغالبًا ما تكون على هيئة جبل مخروطى الشكل ، ولقد رصدنا عدة براكين انفجرت تحت سطح المحيطات ، وفى أعماقها ، ولكننا لم نشاهد بركانًا يتفجَّر من فجوة فى قلب الصحراء .

سأله الدكتور (ناظم) بصبر نافد :

- المهم ماذا يمكن أن يحدث ، لو نسفنا هذه الفجوة ؟

عاد يمط شفتيه ، ويقول :

- ربما يمكننا بهذا ردمها ، ولكن الانفجار سيؤدى إلى

ضغط الحمم فى الأعماق ، وربما بسبب هذا ثورة بركانية ، فى مكان ما .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، وقال :

ـ فليكن .. هذا كل ما أحتاج إليه .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، وقال فى حزم :

ـ استعدوا لنسف الفجوة .

سأله مساعده فى قلق :

ـ ألن ننتظر حتى ..

قاطعه فى صرامة :

ـ كلا .. لن ننتظر .

كان الفجر يرسم ألوانه الأولى فى الشفق ، عندما اتجه أحد الرجال إلى حيث يقف الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ كل شىء متأهب للانفجار .

التقط الدكتور (ناظم) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ على بركة الله .

وألقى نظرة أخيرة على الفجوة ، ثم اتجه نحو جهاز التفجير ، وهو يقول :

ـ دعونا ننهى هذه القضية .

ولكن فجأة ، انشقت الأرض على قيد ثلاثة أمتار منه ، وبرز ذلك المخلوق ، ليحول بينه وبين جهاز التفجير ، وهو يصوّب إليه بندقيته ..

وتراجع الدكتور (ناظم) بحركة حادة ، وهو يهتف :

ـ ما هذا بالضبط ؟

ومع تراجعه تعثّر ، وسقط على ظهره ..

وجاء سقوطه هذا فى اللحظة المناسبة ، فقد أطلق المخلوق بندقيته نحوه ، ولكن الأشعة تجاوزته ، وأصابت الخبير الجيولوجى ، الذى ارتجف جسده فى قوة ، ثم تهاوى أشبه بشىء رخو مخيف ، وقد تحطّمت عظامه وتفتتت ، وانهار هيكله كله دفعة واحدة ..

وانطلق الصراخ والعويل من كل مكان ، وراح الجميع يعدون فى رعب هائل ، فى حين برز عدد آخر من تلك المخلوقات ، وانطلقت أشعة بنادقهم تحصد البشر حصدًا ، فانطلق الدكتور (ناظم) ومساعده نحو سيارة قريبة ، وصاح المساعد ، والدكتور (ناظم) يبتعد بها فى سرعة مخيفة :

ـ ما هذا يا دكتور (ناظم) ؟ .. ما الذى يحدث بالضبط ؟

أجابه الدكتور (ناظم) فى توتر بالغ :

ـ هذا ما كنت أخشاه بالضبط .. هذه المخلوقات هى سبب كل ما يحدث هنا .. لقد قتلت الجميع بالداخل ، ثم صعدت إلى السطح .

شحب وجه الشاب فى شدة ، وهو يتمتم فى رعب :

ـ وماذا ستفعل بعد هذا ؟ ..

لم يجب الدكتور (ناظم) .

هو نفسه كان يجهل ما ستفعله تلك المخلوقات بعد هذا .

كل ماكان يهمه ، في هذه اللحظة ، هو أن يبتعد عن هذا المكان ، قبل أن يتحول بدوره إلى كيان منهار رخو ..

وأمام عينيه ، شاهد أحد المخلوقات يتصدّى لسيارة صاروخية مسرعة ، ثم يطلق أشعة بندقيته نحوها ، وينسفها نسفًا ..

وفجأة ظهر أمام سيارته مخلوق آخر ، صوّب إليه بندقيته بدوره ، فصاح مساعده في رعب :

ـ سيقتلنا .

ولكن الدكتور (ناظم) انحرف بالسيارة في اللحظة المناسبة ، وتفادى الصاعقة التي أطلقتها بندقية المخلوق نحوه ، ثم مال بالسيارة مرة أخري ، وانقضّ بها على المخلوق ، هاتفًا :

ـ ابتعد .

اصطدمت السيارة بالمخلوق في قوة ، وألقته أمامها في عنف ، ثم واصلت طريقها بأقصى سرعته ، والمساعد يهتف :

ـ هل .. هل قتلته يا سيّدي ؟

وأمام عينيه ، شاهد أحد المخلوقات يتصدّى لسيارة صاروخية مسرعة ، ثم يطلق أشعة بندقيته نحوها ، وينسفها نسفًا ..

ألقى الدكتور (ناظم) نظرة على مرآة سيارته ، وقال وهو يرى المخلوق ينهض فى بطء :

ـ كلا .. من الواضح أن أجسادهم أكثر قوة من أجسادنا بكثير ، فلو أصابت السيارة بشريًا ، للقى مصرعه على الفور .

وارتجف صوته ، وهو يستطرد :

ـ وهذا يعنى أننا نواجه مرة أخرى خطرًا قادمًا من الفضاء الخارجى ، ولا أحد يدرى كم تبلغ قوة هذا الخطر .. لا أحد على وجه الأرض كلها .

وواصل الانطلاق بأقصى سرعته ..

★ ★ ★

« سأذهب إلى هناك .. » .

نطقت (نشوى) العبارة فى إصرار وعناد شديدين ، وهى تنزع المحقن الإليكترونى عن ذراعها ، فقالت (مشيرة) فى قلق :

ـ ولكن هذا يتعارض مع محاولات علاجك وإنقاذك يا (نشوى) ، ثم أنه ليس لديك ماتفعلينه هناك .

كررت (نشوى) فى حدة :

ـ سأذهب .. ربما أمكننى إنقاذهم .

قال الدكتور (حجازى) متوترًا :

ـ دعك من هذا العناد ، مازال الأمر يحتاج إلى بعض الفحوص ، و ...

قاطعته :

ـ لاتحاول يادكتور (حجازى) .. لن يمنعنى شىء فى الدنيا من الذهاب .

صاح بها الدكتور (حاتم) فى غضب .

ـ كفى عبثًا وأفعالًا طفولية .. إنك تفسدين كل شىء .

اغرورقت عيناها بالدموع ، وهى تقول :

ـ من يدرى يادكتور (حاتم)؟.. ربما صرت طفلة بالفعل .

شعرت (مشيرة) بالشفقة عليها ، فربتت على كتفها ، قائلة فى حنان :

ـ لاتفكرى بهذا الأسلوب يا (نشوى) .. فكرى بشكل عملى ياصغيرتى .. إنك تحتاجين إلى هذا العلاج بشدة ، ولن يمكنك عمل شىء لوالدك ورفاقه ، لو أن ..

لم تستطع إتمام عبارتها ، فازدردت لعابها ، وتمتمت :

ـ المهم أن تفكرى بشكل عملى .

انهمرت الدموع من عينى (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لماذا؟.. لماذا أفكر بشكل عملى ، ولماذا أحاول العودة إلى العمر الذى كنت عليه ، لو أننى فقدت كل من

أحب ، فى الدنيا كلها؟.. لماذا أحاول البقاء ، دون من أحب؟ ..ألكى أتعذب بفقدهم؟.. لا يا (مشيرة).. لامعنى للبقاء ، فى ظروف كهذه.. إننى لم أشعر بالحزن فقط لأننى أفقد عمرى ، ولكننى شعرت بالأسى والمرارة؛ لأن هذا سيحرمنى ممن أحب.

شعرت (مشيرة) بيد باردة تعتصر قلبها ، وهى تغمغم:

- إننى أفهم هذا.

مسحت (نشوى) دموعها ، واعتدلت قائلة:

- لهذا سأذهب .. سأذهب إلى الفجوة ، وأبذل قصارى جهدى للبحث عن أبى و ... ورفاقه .. فإما أن أعثر عليهم ، وأعود لاستكمال العلاج ، أو أفشل فى ذلك ، وعندئذ لن أعود.

نطقت عبارتها الأخيرة فى حزم صارم ، جعلها أشبه بوالدها ، فتبادل الجميع نظرات متوترة ، قبل أن تقول (مشيرة):

- فليكن .. هيا بنا.

التفتت (نشوى) إليها فى دهشة ، وقالت:

- ولكن .. المفروض أن أذهب وحدى ، و ...

قاطعتها (مشيرة) فى حزم:

- بل سأذهب معك يا (نشوى).

ثم أحاطت كتفى (نشوى) بساعدها ، وضمتها إلى صدرها فى حنان ، وهى تضيف:

- لن أتخلى عنك أبدًا.

ومرة أخرى ، شعرت (نشوى) بالارتياح ، وهى بين ذراعيها ، ووجدت نفسها تقول فى استسلام:

- فليكن يا (مشيرة).. سنذهب معًا.

ولم تمض دقائق على حوارهما هذا ، حتى كانت سيارة (مشيرة) تنطلق بهما متجهة إلى الفجوة ، و (مشيرة) تقول:

- لست أدرى ماذا سنجد هناك بالضبط؛ فمراسلنا لم يرسل أية أخبار ، منذ نصف ساعة كاملة.

غمغمت (نشوى):

- ربما انقطعت الاتصالات خارج الفجوة ، كما انقطعت داخلها.

لم يكن هذا التفسير مقنعًا بالنسبة لـ (مشيرة) ، فغمغمت:

- ربما.

كانت تشعر بقلق مبهم ، كلما اقتربت من موقع الفجوة ، والشمس تشرق ، وضوءها ينتشر فى كل مكان ، ويلقى ظلالًا مخيفة على الصحراء ، حتى بدت الفجوة من بعيد ، فعقدت (مشيرة) حاجبيها ، وهى تقول:

- عجبًا!.. لايوجد أحد هناك.

سألتها (نشوى):

- هل تركوا المعدات وحدها؟

لم تحتج فى الواقع إلى جواب (مشيرة)، فقد التقطت عيناها المشهد كله دفعة واحدة، ورأت الحطام المنتشر فى كل مكان، والجثث الرخوة المنهارة، فشهقت فى ذعر، وهتفت:

- رباه!.. أية مذبحة حدثت هنا؟

كان قلب (مشيرة) ينتفض خوفًا، ولكن حاستها الصحفية غلبت خوفها، وجعلتها توقف سيارتها فى قلب المذبحة، ثم تلتقط آلة التصوير الخاصة بها، وهى تقول:

- ياللهول!.. من فعل هذا؟.. بل ما الذى فعل هذا؟

راحت تلتقط الصور الهولوجرافية فى سرعة وانفعال، فى حين اقتربت (نشوى) من الفجوة فى حذر، وغمغمت:

- لقد تحطم كل شىء على نحو مخيف، وتوجد كتل ضخمة من الزجاج فى كل مكان.

اعتدلت (مشيرة)، وهى تقول فى دهشة:

- الزجاج؟!.. ما الذى يعنيه وجود كتل الزجاج هنا؟

أجابتها (نشوى):

- إنه نتاج طبيعى لحرارة الحمم، عند امتزاجها بالرمال، فالزجاج يتكوّن أساسًا من السليكات والقلويات، والرمال تتكوّن من الكوارتز والسليكات، وحرارة الحمم تكفى لمزجه بالقلويات، وإنتاج كتل غير منتظمة من الزجاج(*)!

هتفت بها (مشيرة):

- لاتقتربى من الفجوة كثيرًا.

أجابتها (نشوى):

- لاتقلقى.. إننى أتحرك فى حذر.

ألقت عليها (مشيرة) نظرة قلقة، ثم عادت تولى المكان انتباهها، وهى تقول:

- الأمر يبدو كما لو أن إعصارًا أصاب المكان، ومزّق كل شىء، و...

بترت عبارتها بغتة، وهى تحدق فى شىء ما، ثم اقتربت منه مغمغمة:

- عجبًا!! هذا الزى يبدو كما لو...

قطعت عبارتها بشهقة قوية هذه المرة، وهى تتراجع فى رعب، فاعتدلت (نشوى) تسألها فى توتر:

(*) حقيقة علمية.

ـ ماذا حدث ؟

أجابتها (مشيرة) ، وهى ترتجف فى رعب :

ـ هذه الأجساد .. لقد .. لقد خلت من عظامها ، وصارت مجرّد كيانات رخوة .. هذا أمر رهيب .. أكثر الأشياء التى رأيتها فى حياتى بشاعة .

ارتجفت (نشوى) بدورها ، وهىَ تقول :

ـ أى فعل شيطانى هذا ؟

وتحرّكت نحوها مستطردة :

ـ ألايحتمل أن ...

وفجاة ، وقبل أن تتم عبارتها ، برز فجأة أحد المخلوقات أمامها ، من قلب الأرض ، وصوّب إليها بندقيته ، فأطلقت صرخة مدوية ، و ..

وأطلق المخلوق البندقية .

* * *

٤ ـ قلب الخطـر ..

قفز القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية من مكانه ، وهو يهتف فى وجه الدكتور (ناظم) :

ـ جيش من الفضاء الخارجى ؟! .. أى قول هذا ؟

لوّح الدكتور (ناظم) بذراعيه فى انفعال ، وهو يجيب :

ـ لقد باغتونا على نحو مخيف ، وبرزوا من أعماق الأرض ، كشياطين انشقت عنهم التربة ، وراحوا يطلقون نحونا بنادق بدائية الشكل ، ولكن أشعتها تفتّت الأجساد ، وتسحق العظام .

عاد القائد الأعلى إلى مقعده ، وضغط عددا من الأزرار ، وهو يسأله فى توتر :

ـ وكم يبلغ حجم هذا الجيش ؟ .. ما العتاد الذى يمتلكه ؟ .. وما ..

قاطعه الدكتور (ناظم) :

ـ لم يكن هناك وقت لدراسة كل هذا .. لقد انقضوا علينا فجأة .

لوّح القائد الأعلى بكفيه ، وقال :

ـ كيف يبدون إذن ؟ .. كيف يقاتلون ؟ .. لابد أن نعرف بعض المعلومات على الأقل .

أجابه الدكتور (ناظم):

- إنهم يشبهون البشر ، فى تكوينهم الخارجى ، ولكن أجسادهم مغطاة بحراشيف سميكة ، وقوة احتمالهم تفوق كثيرًا قوة احتمالنا ، فقد صدمت أحدهم بسيارتى الصاروخية ، ولكنه عاد ينهض ليواصل قتاله .

التقى حاجبا القائد الأعلى فى قوة ، وهو يقول:

- هذا يكفى .

ثم ضغط زرًا آخر ، وقال:

- إنذار عام .. إلى جميع قوات الطوارئ ، على مشارف (القاهرة) .. استعدوا للتصدى لهجوم من الفضاء الخارجى .. أكرر ...

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع رنين من شاشة راصد تجاوره ، وارتسمت عليها عدة عبارات سريعة ، شحب لها وجه القائد الأعلى ، قبل أن يقول:

- لقد تأخرنا كثيرًا .

تطلع إليه الدكتور (ناظم) فى توتر وانفعال ، فأشار القائد الأعلى إلى الشاشة ، مستطردًا:

- لقد بدأ الهجوم .

ثم امتلأ صوته بالمرارة ، وهو يتابع:

- بدأ فى أقرب قاعدة جوية للصحراء .

وعاد ينظر إلى الشاشة فى أسى ..

* * *

أطلقت (نشوى) صرخة مدوية ، عندما رأت أمامها ذلك المخلوق ، وهو يصوّب إليها بندقيته ، وصاحت (مشيرة) فى هلع:

- (نشوى) .. احترسى .

ولكن المخلوق لم يتردد ..

وضغط زناد بندقيته ..

وانطلقت أشعته الساحقة .

وعلى الرغم من أن كل شىء قد سار بنفس السرعة ، التى يمكن بها قراءة العبارات السابقة ، إلا أن الأشعة لم تصب (نشوى) ..

لقد خرج مخلوق آخر من الفجوة ، فى نفس اللحظة ، وجذب (نشوى) بعيدًا عن الأشعة ..

مخلوق بشرى ..

نعم .. ففى أدق وأخطر لحظة ، فوجئت (مشيرة) بـ (سلوى) تقفز عبر الفجوة ، وتجذب (نشوى) بعيدًا ، وهى تصرخ:

- ابتعدى يا (نشوى) .

فى أدق وأخطر لحظة ، فوجئت (مشيرة) بـ (سلوى) تقفز عبر الفجوة ، وتجذب (نشوى) بعيدًا ..

تجاوزتهما الأشعة ، وهتفت (نشوى) :

ـ أمى .. إنك على قيد الحياة .

أجابتها (سلوى) بسرعة :

ـ نعم يا بنيتى..كلنا نجونا .

ثم حدقت فى وجهها بذهول ، مستطردة :

ـ (نشوى) .. إنك تبدين كما لو ...

وأطلقت شهقة قوية ، وهى تخفى فمها بكفها ، فى حين صرخت (مشيرة) :

ـ احترسا .

كان المخلوق يستعد لإطلاق بندقيته مرة ثانية ، و (سلوى) تحدق فى وجه ابنتها فى ذهول ، وصرخت (مشيرة) مرة ثانية :

ـ سيقتلكما .. ابتعدا .

انتفضت (سلوى) فى قوة ، ونظرت إلى المخلوق فى ذعر ، وهو يصوب إليهما بندقيته مرة ثانية ..

ولم يكن هناك مجال للفرار ..

ولكن فجأة ، ارتجت الأرض فى قوة ، ثم تحطم جزء منها ، على قيد ثلاثين مترًا من الفجوة ، وانطلق منها جسم بيضاوى كبير ..

وهتفت (سلوى) :

- (نور)؟!

التفتت (نشوى) فى لهفة إلى الجسم البيضاوى ، الذى دار دورة نصف كاملة فى الهواء ، قبل أن ينقض على المخلوق ، الذى أدار فوهة بندقيته إلى الجسم البيضاوى فى سرعة ، وضغط الزناد ...

وانطلقت الأشعة نحو الجسم البيضاوى ، الذى تفاداها بمناورة بارعة ، ثم أطلق أشعة مماثلة نحو المخلوق ، انتزعته من مكانه فى عنف ، وألقته داخل الفجوة فى قوة ..

وهتفت (مشيرة):

- أهذا (نور)؟

دار الجسم البيضاوى نصف دورة أخرى ، ثم انخفض فى سرعة ، واستقر فى هدوء على الأرض ، ثم وثب منه (نور) و (محمود) ، فى نفس اللحظة التى برز فيها (رمزى) من الفجوة ، وهو يقول:

- لقد سحقته الأشعة سحقًا .

أسرع (نور) نحو زوجته وابنته ، وهو يقول:

- حمدًا لله .. لقد وصلنا فى الوقت المناسب ، ولولا هذا ...

تجمّدت الكلمات فى حلقه ، وهو يحدق فى وجه

(نشوى) فى ذهول ، فى حين هتف (محمود) فى توتر بالغ:

- يا إلهى ! .. من فعل بك هذا يا (نشوى)؟

أما (رمزى) ، فلم يصدّق أبدًا ما يراه ..

لم تكن هذه هى (نشوى) ، التى تركها منذ عدة ساعات ..

كانت فتاة أخرى ، لا يتجاوز عمرها السابعة عشرة ..

فتاة صغيرة ، بسيطة ، يطلّ من عينيها حزن الدنيا كله ..

وفى ذهول تمتم (نور):

- ماذا حدث؟

أجابته (مشيرة):

- ابنتك تعانى من مشكلة رهيبة يا (نور).

غمغم فى مرارة ، وهو يتطلّع إلى ابنته:

- هذا يبدو واضحًا .

وبكت (نشوى) ، وهى تقول:

- إننى أحتاج إليك يا أبى ..

هتف فى حرارة:

- وأنا رهن إشارتك يا (نشوى).

أسرعت (مشيرة) تروى له الموقف فى اختصار ، واستمع هو إليها فى اهتمام ، ثم قال فى حزم:

- هذا يعنى ضرورة ألا نضيع لحظة واحدة يا (مشيرة).. هيا عودى بـ (نشوى) إلى المستشفى المركزى ، وأخبرى الدكتور (حاتم) أننى أوافق على كل ما يفعله ، لو أن هذا يحمل أدنى أمل فى إنقاذ (نشوى) .

ثم أمسك كتفى ابنته ، وتطلّع إليها فى حنان وأسى ، وهو يقول :

- اذهبى معها يا (نشوى) ساعديهم يا بنيتى ليمنحوك أى أمل فى البقاء .

سألته بعينين مغرورقتين بالدموع :

- وماذا عنك يا أبى ؟

عضّ شفته السفلى فى مرارة ، وهو يقول :

- سألحق بك بإذن الله يا بنيتى ..هيا .. اذهبى .

قال (رمزى) فى حزم :

- سأذهب معها .

ألقى عليه (نور) نظرة سريعة ، وقال :

- هيا .. افعل .

اتجهت (نشوى) مع (مشيرة) إلى سيارة هذه الأخيرة ، فى حين أمسك (نور) ذراع (رمزى) ، وقال :

- (رمزى) .. لو لم تكتب لى الحياة ، فلاتتخلّ عنها أبدًا .

ربّت (رمزى) على يده ، وقال :

- اطمئن يا (نور) .

ثم لحق بـ (نشوى) و (مشيرة) ، وبكت الأولى فى مرارة ، وهى تودّع والديها ، فى حين حاولت (مشيرة) تغيير الموقف ، فسألت (رمزى) :

- ولكن كيف نجوتم ؟

غمغم :

- لقد عثرنا على الكثير فى أسفل .

قالت فى دهشة وتساؤل :

- ولكن البركان ثار مرة ثانية ، والحمم بلغت قمة الفجوة ، فكيف لم تقض عليكم ؟!

أجاب فى خفوت :

- لهذا قصة .

ثم راح يروى لها ماحدث هناك ..
فى الأعماق ..

★ ★ ★

ارتفعت الحمم فجأة ، وانتفضت فى قوة ، ثم انطلقت إلى أعلى كالصاروخ ..

وأطلقت (سلوى) صرخة رعب هائلة ، وهى تقول :

- إنها النهاية يا (نور) .

صاح بها (نور) :

- تشبثى يا (سلوى) .

قالها وقلبه يرتجف بين ضلوعه ، وعيناه تحدقان فى

الحمم ، التى تتصاعد فى سرعة ، إلا أن تلك الحمم لم تلبث أن اندفعت عبر الفجوات العديدة ، التى تحيط بجدار الفجوة الرئيسية ، وتوقف ارتفاعها دفعة واحدة ، فهتف (نور) :

ـ رباه !.. لم ينته الأمر بعد .

ثم صاح بـ (سلوى) :

ـ هيا.. أسرعى يا (سلوى) .

لم تصدق نفسها فى البداية ، ثم لم تلبث أن واصلت التسلق ، بكل لهفة الحياة فى عروقها ، حتى بلغت حافة الفجوة ، فتشبثت بها ، وألقت جسدها خارجها ، وراحت تلهث فى شدة ، ولحق بها (نور) ، ورقد إلى جوارها يلهث بدوره ، حتى سألته فى انفعال :

ـ ماذا حدث ؟.. كيف نجونا ؟

أجابها :

ـ هذه الفجوات الجانبية هى نظام التدفئة ، الذى استخدمه هؤلاء ، لإنعاش مخلوقاتهم ، فالحمم تنطلق من الأعماق ، وترتفع إلى مستوى هذه الفجوات ، التى تؤمن لها سبل الحركة ، فتندفع عبرها ، وتسير فى شبكة تم إعدادها مسبقًا ، فترتفع حرارة المكان كله دفعة واحدة ، وتنطلق منه الحمم إلى السطح ، دون أن تدمر الأشياء والمعدات ، الموجودة داخل المكان .

قالت لاهثة :

ـ يا إلهى !.. لقد أعدوا كل شىء بدقة بالغة .. كيف إذن لم تكن لديهم القدرة على البقاء ؟.. لماذا اختاروا عشرة منهم فحسب ؟

أجابها (نور) ، وهو يلتقط أنفاسه :

ـ ربما لم تكن قدراتهم تكفى لإعالة الجميع ، طوال فترة العصر الجليدى .

ثم نهض فى بطء ، وألقى نظرة على القاعة الكبرى ، التى شاهدوا فيها مراسم إحراق الجثث ، وتابع :

ـ من الواضح أننا أمام حضارة هائلة ، بلغت منذ ملايين السنين شأناً لابأس به ، ولكنها تحتضر الآن ، على الرغم من كل مافعلته ، لتفسح الطريق أمام حضارة أخرى .

نهضت (سلوى) بدورها ، وهى تقول :

ـ من يدرى ؟.. ربما تستعد لتدمير هذه الحضارة الأخرى ، للنهوض على أكتافها .

التفت إليها فى حركة سريعة ، والتقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ من يدري ؟

ثم اعتدل ، مستطرداً فى حزم :

ـ وهذا يعنى ضرورة أن نبذل قصارى جهدنا ؛ لنغادر هذا المكان ، ونبلغ عالمنا بما ينتظره ، ليتأهب لصد هذا الغزو الجديد .

سألته في قلق :

- وكيف يمكننا مغادرة المكان يا (نور) ؟

أجاب في سرعة :

- سنبحث عن وسيلة .

ثم أضاف وهو يلقي نظرة أخرى حوله :

- ولكن أليس من العجيب أنهم غادروا المكان جميعًا ، ولم يبق أحدهم لمراقبة ماسيحدث ، والتأكد من مصرعنا على الأقل ؟!

تلفتت حولها بدورها ، وهي تقول :

- كدت أسألك عن هذا .

لم تكد تتمّ عبارتها ، حتى انطلقت زمجرة مخيفة ، ارتجّت لها جدران القاعة كلها دفعة واحدة ..

ثم برز ذلك الوحش ..

حيوان ضخم ، يشبه غوريلا كبيرة ، ولكن جسده عار من الشعر ، ويشبه جسد مصارع زنجي عملاق ، لولا أن قدميه تشبهان قوائم الخيول ، بحوافر لامعة حادة ، ووجهه يشبه وجه أسد أسود ..

وأطلقت (سلوى) شهقة قوية ، وهي تتراجع هاتفة :

- رباه ! .. أي شيء هذا ؟

امتدت يد (نور) لتنتزع مسدسه الليزري ، ولكنه انتبه إلى أن أحد المخلوقات قد أخذه منه ، عندما تم أسره مع زوجته ، فتراجع نحو فجوة الحسم ، وهو يقول :

- إنه الحارس ، الذي وضعوه لحماية المكان ، والتيقن من مصرعنا .

ضرب الحيوان صدره بقبضتيه ، تمامًا كما تفعل الغوريلا ، ثم أطلق زمجرة ثانية ، واتجه إليهما في بطء ، فأشار (نور) إلى زوجته ، وقال :

- ابتعدي يا (سلوى) .

قالت في حزم :

- سنقاتله معاً .

صاح بها :

- قلت : ابتعدي .. وحاولي الفرار من هنا ، لو عثرت على مخرج للقاعة ، فلابد أن يبقى أحدنا على قيد الحياة ، لتحذير العالم مما سيحدث .

هتفت في عناد :

- بل سنقاتله معاً .

ومع عبارتها الأخيرة ، انقضّ الحيوان ..

انقضّ عليها في البداية ، كما لو كان قد اتخذ قراره بالقضاء على الخصم الأكثر ضعفاً في البداية ..

وصرخت (سلوى) ، عندما أمسكها الحيوان من وسطها ، ورفعها في قوة ، واتجه بها نحو فجوة الحمم ، في حين صاح (نور) ، وهو يهاجمه :

- لن أسمح لك .

ووثب يتعلق بعنقه من الخلف ، ويهوى على مؤخرة رأسه بلكمة عنيفة ..

وأطلق الحيوان زمجرة أخرى مخيفة ، ثم ألقى (سلوى) أرضاً ، واستدار يواجه (نور) في غضب ، فتراجع (نور) قائلاً :

- نعم .. هذا أفضل .

تحرك الحيوان نحوه في شراسة ، وهو يبرز أنيابه في وحشية ، و (نور) يراوغه في حذر ، في حين نهضت (سلوى) في سرعة ، على الرغم من الآلام التي تشعر بها في ظهرها ، واختطفت قطعة معدنيـــة من الأرض ، وانقضت على الحيوان من الخلف ، وهوت بها على مؤخرة عنقه ..

وأطلق الحيوان زمجرة مخيفة هذه المرة ، ثم أدار قبضته إلى الخلف في قوة وعنف ، ولطم (سلوى) لطمة شديدة ، ألقتها إلى الوراء ، فصاح به (نور) غاضبًا :

- أيها الوغد .

وانقض عليه بكل ثورته وغضبه ، وراح يلكمه في عنقه ورأسه ، فاستدار إليه الحيوان ، ولطمه بدوره لطمة شديدة العنف ، انتزعته من مكانه ، وألقته مترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن ينقضّ عليه الحيوان مرة أخرى ، وهو يبرز أنيابه في وحشية ..

وفي هذه المرة أمسكه الحيوان من عنقه ، ورفعه إلى أعلى ، ثم رفع قبضته ليهوى بها على فكه ، ولكن (نور) ضربه بقدمه في معدته بقوة ..

ولم يتأثر الحيوان بالضربة ..

لقد أطلق زمجرة خافتة ، ثم هوى بقبضته ..

وتحطمت خوذة (نور) ..

تهشّمت في عنف ، وقبضة الحيوان تخترقهـــا ، وتتجاوزها إلى فك (نور) ، الذي تلقى واحدة من أكثر اللكمات عنفاً في حياته ، وكاد عنقه ينخلع لها ، قبل أن يلقيه الحيوان أرضاً ، على قيد شبر واحد من فجوة الحمم ..

واندفعت (سلوى) نحو المخلوق ، هاتفة :

- أيها الوحش الحقير .

لطمها الحيوان مرة أخرى ، فارتطمت بتمثال صغير ، وسقطت معه أرضاً ، وتهشمت خوذتها أيضاً في عنف ، في حين تجاهلها الحيوان تمامًا بمجرّد سقوطها ، والتفت إلى (نور) ، الذي حاول أن ينهض ، قائلًا ..

- اتركها أيها الوغد .

أطلق الحيوان زمجرة شديدة الوحشية هذه المرة ، ثم اندفع بكل قوته نحو (نور) ، وصرخت (سلوى) فى ارتياع :

- (نور) .

كان (نور) على مسافة نصف المتر من فجوة الحمم ، عندما انقضّ عليه الحيوان المفترس ، وهو يهمّ بدفعه داخل الفجوة ..

وفجأة ، ألقى (نور) جسده أرضاً ، ورفع قدميه إلى أعلى ، يستقبل بهما الحيوان الشرس ، ثم دفعهما فى بطن الحيوان ، وصاح وهو يرفعه بكل قوته :

- فليكن أيها الوحش.. أنت أردت هذا .

وبحركة سريعة ، مالت قدماه إلى الخلف ، دافعة الحيوان نحو فجوة الحمم ..

وطار جسد الوحش مترًا واحدًا فى الهواء ، قبل أن يهوى فى فجوة الحمم ، وهو يطلق صيحة رهيبة ، انتفض لها جسد (سلوى) فى قوة ، قبل أن يبلغ مسامعها صوت سقوطه فى قلب الحمم ، وتتصاعد بعدها أبخرة كثيفة من الفجوة ، و (نور) ينهض فى بطء ..

وفى صوت يرتجف من فرط الارتياع والاضطراب ، قالت (سلوى) :

- هل .. هل لقى مصرعه ؟

أومأ (نور) برأسه إيجاباً ، وهو يقول فى مرارة :

- لقد اضطرنى لهذا .

لم تكن طبيعته النافرة من القتل والدمار قد فارقته بعد ، على الرغم من كل ما مرّ به من أحداث ، فى حياته الحافلة ..

كان دائمًا ذلك الشاب الهادئ ، المحب لكل ماتحيطه به الطبيعة ..

الشاب الذى يبغض التدمير ..

وفى بطء ، اقتربت منه (سلوى) ، وتركت رأسها يستكين على كتفه ، فأحاط وسطها بذراعه فى حنان ، وكرّر :

- لقد اضطرنى إلى هذا .

همست :

- أعلم هذا .

ران عليهما الصمت لحظات ، وهما يتطلعان إلى الفجوة ، والأبخرة المتصاعدة منها ، ثم انتفض جسد (نور) فجأة ، وهو يقول :

- يا إلهى ! .. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟

سألته (سلوى) فى قلق :

- لم تنتبه إلى ماذا ؟

أجاب فى انفعال :

ـ لقد تحطمت خوذتانا ، ولكننا لم نختنق بالغازات البركانية .

هتفت :

ـ هذا صحيح .. أنا أيضاً لم انتبه لما حدث .

أشار إلى الفجوة ، وقال :

ـ ولكن الغازات البركانية تتصاعد ، وهذا يعنى أنه هناك نظام تهوية وتنقية محكم .

وتلفت حوله فى لهفة ، مستطردًا :

ـ وربما كان هو وسيلتنا للخروج من هنا .

قالت فى توتر :

ـ هناك الباب الذى دخلنا منه .

أجابها وهو يشير إلى الجدار :

ـ لم يعد هناك .. إنه أوّل شىء بحثت عنه .

التفتت إلى حيث كان الباب ، ولكنها وجدت بدلًا منه كومة من الصخور الضخمة ، تسد المكان ، فغمغمت :

ـ يا إلهى ! .. لماذا فعلوا هذا ؟

أجابها فى سرعة :

ـ من المؤكد أن لديهم أسبابهم .

ثم أشار إلى فجوة أخرى ، أعلى الجدار الأيسر :

ـ هذه هى دائرة التهوية والتنقية على الأرجح .

اتجها معاً إلى ذلك الجدار ، وقالت (سلوى) :

ـ ماذا لو أن هذه الدائرة ..

قبل أن تتم عبارتها ، انفتحت تحت أقدامهما بغتة فجوة جديدة ..

فجوة بدت وكأنها قد نشأت من العدم ، ومن تحتها ظهرت الحمم الملتهبة ، وصرخت (سلوى) :

ـ (نور) .. احترس ..

ولكن لم يكن هناك ما يمكنهما التشبث به ، فهويا إلى الأعماق ..

فى قلب الحمم .

* * *

٥ ـ رحلة العـودة ..

كان كل شىء يبدو هادئا ، فى تلك الليلة ، حتى أن طاقم حراسة القاعدة الجوية لم يهتمّ كثيرًا بمتابعة مايدور حولها ، فى تلك المنطقة الصحراوية ، على مشارف (القاهرة) ، وراح رجاله يتسامرون ويتضاحكون ، أمام شاشات المراقبة ، حتى انتبه أحدهم فجأة إلى أزيز خافت ، يصدره أحد أجهزة المراقبة ، فاعتدل يتطلع إليه ، وهو يقول فى قلق :

ـ ماهذا بالضبط ؟

شاركه أحد زملائه التطلع إلى الشاشة ، وقال :

ـ عجبًا !.. يبدو وكأن أحدهم يعبر منطقة الأمن ، ولكن شاشات المراقبة لاتنقل شيئاً .

أجابه الرجل فى توتر :

ـ آلات التقاط الذبذبات تلتقط صوتاً ما ، من تحت الأرض ، كما لو أن دودة عملاقة تحفر الأرض ، وتتجه إلى القاعدة .

ردّد زميله فى دهشة :

ـ دودة عملاقة ؟!

وتطلع لحظة إلى جهاز التقاط الذبذبات ، قبل أن يقول فى حزم :

ـ استخدم جهاز الفحص .

استدار الرجل يتطلع ، عبر نافذة حجرته الزجاجية ، إلى بوّابة القاعدة ، ثم غمغم فى اهتمام :

ـ أعتقد أنه من الأفضل أن نفحص المكان بأنفسنا .

قالها وحمل مسدسه الليزرى ، ثم اتجه إلى خارج الحجرة ، وتبعه زميله ، وهو يقول محاولاً التخفيف من توتره :

ـ ربما هى ظاهرة طبيعية ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، برز أحد المخلوقات من الأرض فجأة أمامهما ، فتراجع زميله هاتفًا :

ـ أى عبث شيطانى هذا ؟

ورفع مسدسه الليزرى بسرعة ، ولكن طلقة أخرى أصابته من الخلف ، وسحقت عظامه كلها دفعة واحدة ، فصاح الآخر مذعوراً :

ـ يا إلهى !.. إنه هجوم .

كان هذا آخر مانطقه ، فى حياته كلها ، فقد أصابته طلقة أخرى ، سحقته بدوره ، وألقته جثة رخوة هامدة ..

وبرزت أربعة مخلوقات أخرى ، انطلقت نحو حجرة طاقم الحراسة ، الذين أطلقوا بوق الإنذار فى القاعدة ، وهم يسرعون لمواجهة المخلوقات الخمسة ، التى أطلقت أشعة بنادقها ، وراحت تسحق كل ماحولها بلارحمة ..

وسقط رجال الأمن واحدا بعد الآخر ، واندفعت المخلوقات نحو ممرات الهبوط ، وراحت تطلق نيرانها على الممرات كلها ، وتنسف كل طائرة تقابلها ، فيما عدا خمس طائرات ..

وفى تكتيك منظم ، استولت المخلوقات على الطائرات الخمس ، أمام أعين رجال القاعدة ، الذين هتفوا فى غضب :

- هل سنكتفى بمراقبتهم هكذا ؟

أجابهم قائدهم فى غيظ :

- لم يعد لدينا مانفعله .. أسلحتهم قوية للغاية ، ولقد نسفوا وسحقوا كل شىء .. حتى مخزن الذخيرة .

هتف أحد الطيارين فى حنق :

- ولكنهم يستولون على طائرتى .

قال القائد فى حدة :

- وهل يمكنك منعهم ؟

قال فى حدة :

- يمكننى المحاولة على الأقل .

ثم استلّ مدفعه الليزرى ، وانطلق خارج المكان ، وتبعه زميل له ، وهو يقول فى حزم :

- دعنا نحاول معًا .

وفى تكتيك منظم ، استولت المخلوقات على الطائرات الخمس ، أمام أعين رجال القاعدة ..

كانت المخلوقات الخمسة تستعد للانطلاق بالطائرات المتبقية ، عندما هاجم الطيّار وزميله إحـــدى هذه الطائرات ، وراحا يطلقان نحوها مسدسيهما ، وهتف أحدهما فى حدة :

ـ أطلق النار على خزان الوقود مباشرة ..إننى أفضل نسف الطائرة ، على استيلاء هؤلاء الممسوخ عليها .

أطلقا أشعتهما فى كثافة ، نحو خزان وقود إحدى الطائرات ، فى حين انطلقت الطائرات الأربع الأخرى على ممر الإقلاع ، وصاح الطيار :

ـ طلقة أخرى ونربح المعركة .

كانت الطائرة الخامسة تستعد للارتفاع ، عندما اشتعل خزان وقودها بغتة ، واندلعت النيران فى ذيلها ، وهتف الطيار فى ظفر :

ـ نجحنا .

ولكن الطائرة أقلعت بالفعل ، وهى تجر خلفها ذيل النيران ، والطيار يهتف فى حماس :

ـ هيا .. انفجرى .. هيا بالله عليك .

ودوى الانفجار ..

دوى فى سماء القاعدة ، بكل القوة والعنف ، وتحوّلت الطائرة إلى كتلة من اللهب ، تألقت فى السماء ، وأضاءت المكان كله ، وتطايرت شظاياها فى كل مكان ، واختلط

دوى انفجارها بصيحة الطيار ، وهو يصرخ :

ـ انتصرنا .

ولكن الطائرات الأربع الأخرى دارت حول نفسها ، وانقضت على القاعدة فى شراسة ..

كانت تثأر لزميلها الصريع ، فراحت تمطر القاعدة بالصواريخ ومدافع الليزر ، وتنسف كل جدار قائم فيها ..

وكانت مذبحة حقيقية ..

النيران اندلعت فى كل مكان ..

الطيار وكل زملائه لقوا مصرعهم ..

الدماء سالت أنهارًا ..

كل هذا حدث فى دقائق معدودة ، قبل أن تلتقـــى الطائرات الأربع فى السماء ، وتدور مع بعضها البعض دورة كاملة ، حول النيران المشتعلة ، وكأنها تؤبن زميلها الراحل ، ثم انطلقت كلها نحو هدف واحد ..

هدف تم تحديده منذ ملايين السنين ..

هدف قد يمنح تلك المخلوقات الأربعة قوة لامثيل لها ..

قوة تكفى للسيطرة على الأرض ..

وإبادة حضارة كاملة ..

إبادتها تمامًا ..

* * *

توترت (مشيرة) فى شدة ، عندما بلغ (رمزى) من روايته ذلك الحد ، الذى سقط فيه (نور) و (سلوى) فى الفجوة الجديدة ، وسألته فى لهفة ، تحمل الكثير من الفضول الصحفى :

- يا إلهى! .. كيف نجا (نور) و (سلوى) إذن؟

التقط (رمزى) نفساً عميقًا ، وألقى نظرة مشفقة على (نشوى) ، التى ظلت صامتة ، مغرورقة العينين بالدموع ، ثم تابع ، محاولاً جذب انتباهها بعيدًا عن مشكلتها :

- عندما روى لنا (نور) القصة ، ونحن داخل الفجوة ، ألقينا عليه السؤال نفسه ، وهو يبلغ هذا الحد ، ولكنه أجابنا إجابة أدهشتنا ، وجعلتنا ندرك أن الأعمار بيد الله (سبحانه وتعالى) وحده .

سألته (مشيرة) :

- هل نجوا بمعجزة ؟!

ابتسم مجيبًا :

- بل ببساطة متناهية .

رفعت (نشوى) عينيها إليه ، وهمست :

- ببساطة ؟!

أسعده أن نجح فى جذب انتباهها ، وتابع :

- نعم .. ببساطة مدهشة .

ثم اعتدل ، وراح يروى الجزء الباقى من القصة .. قصة رعب الأعماق ..

* * *

عندما هوى (نور) و (سلوى) داخل فجوة الحمم الثانية ، تصوّر الاثنان أنها النهاية لاريب ، ولكنهما ارتطما فجأة بشىء جامد صلب ، وتدحرجا فوقه لحظات ، ثم استقر جسداهما ، وهتفت (سلوى) :

- رباه! .. إنه حاجز زجاجى .

كانت قاعدة زجاجية سميكة قوية ، وشفافة إلى حد مذهل ، حتى أنهما لم ينتبها إلى وجودها ، حتى سقطا فوقها ، ومن موقعهما ، بدت الحمم أسفلهما واضحة ، وبدا أمامهما ممر يمتد إلى مسافة طويلة ، وتتألق فيه مصابيح وردية عديدة ، فهمست (سلوى) :

- لقد نجونا يا (نور) .

أجابها فى حماس :

- وعثرنا على المخرج .

أمسك يدها ، واتجها إلى الممر ، الذى يمتّد تحت الأرض ، وترتفع على جانبيه جدران ملساء سميكة ، وغمغم (نور) :

- من الواضح أنه ممر سرى خاص ، يقود إلى شىء بالغ الأهمية ، ولقد أشعلنا الجهاز الذى يفتحه ، دون أن ندرى .

قالت (سلوى) :

- المهم ما الذى يقودنا إليه ؟

قال فى اهتمام ، وهو يشير إلى باب فى نهاية الممر :

- سيأتينا الجواب بعد قليل .

بلغا الباب بعد لحظات ، وراح (نور) يتحسسه بيده ، قائلًا :

- إنه ليس مجرد باب عادى .. إنه يعمل بوساطة رتاج إليكترونى خاص على الأرجح .

قالت فى اهتمام :

- دعنى أفحصه .

انحنت تفحص الباب ، ثم قالت :

- أنت على حق .. إنه رتاج عجيب ، لم أر مثيلًا له من قبل ، ولكن من الواضح أنه يعتمد على الذبذبات الصوتية أيضًا .

ثم ضغطت أحد أزرار ساعتها ، مستطردة :

- يمكننا أن نحاول .

راحت ساعتها تطلق تلك الترددات المتغيرة ، حتى صدرت تكة خافتة من الرتاج ، وتحرك الباب فى بطء ..

وفجأة وثب شخص مانحو (سلوى) ، التى أطلقت صرخة مدوية ، وتراجعت فى هلع ، فانقض (نور) بدوره على هذا الشخص ، ولوى معصمه خلف ظهره ، وهو يقول :

- لن أسمح لك بـ ..

ثم بتر عبارته فجأة ، وهتف :

- (رمزى) ؟! .. يالهامن مفاجأة !

هتف (رمزى) بدوره :

- (نور) ؟ .. (سلوى) ؟ .. من المؤكد أن هذه الفجوة هى أرض المصادفات ، فكلنا نلتقى على نحو عجيب .

ردد (نور) :

- كلنا ؟

برز (محمود) ، وهو يهتف :

- نعم يا (نور) .. كلنا .

تبادل الجميع التحية فى سعادة ، وسأل (نور) (رمزى) :

- ولكن كيف وصلتم إلى هنا ؟

أجابه (رمزى) :

- لقد أسرنى أحد المخلوقات ، داخل قاعة يستخدمونها كمعبد وثنى ، وأطلقوا مخلوقًا رهيبًا لالتهامى ، ولكن (محمود) وصل فى اللحظة المناسبة ، وقتل

ذلك المخلوق ، ثم فحص قيودى ، وخلصنى منها بالضغط على جزء من القاعدة ، التى قيدونى إليها ، وعندما ثار البركان مرة ثانية ، تصوَّرنا أن الحمم ستلتهمنا بلارحمة ، ولكننا كشفنا أن هؤلاء الفضائيين قد صنعوا وكرهم بذكاء شديد ، بحيث تعزل تلك الأبواب الخضراء العجيبة المناطق الهامة تمامًا ، عن خط سير الحمم ، التى لم تلبث أن تراجعت ، وانفتحت الأبواب مرة أخرى ، فتجولنا أنا و (محمود) فى المكان ، بحثاً عن مخرج آخر ، حتى وجدنا أنفسنا هنا .

قال (نور) فى ارتياح :

- كم يسعدنى أننا جميعًا على قيد الحياة .

ثم استطرد فى اهتمام :

- ولكن ألم تنتبهوا إلى أن تلك المخلوقات قد غادرت المكان ، ولم يعد لها أدنى أثر هنا .

قال (محمود) :

- هذا صحيح .. إننا لم نلتق بأى منهم ، طوال الطريق إلى هنا .

ثم استدرك فى سرعة :

- ولكننا نعلم السبب تقريبًا .

وأشار إلى القاعدة ، التى جاء منها مع (رمزى) ، وهو يقول :

- انظر يا (نور) .

عبر الجميع الباب المفتوح ، واتسعت عيون (نور) و (سلوى) ، أمام ذلك المشهد .. كانت هناك عشر طائرات بيضاوية الشكل ، تصطف داخل القاعة الضخمة ، التى تعرَّضت لانهيار عنيف ، فهوت كتل هائلة من الصخور من سقفها ، وسحقت كل الطائرات تقريبًا ..

وقال (نور) مبهوتًا :

- يا إلهى ! .. إذن فقد فقدوا طائراتهم ، وخرجوا للبحث عن وسيلة طيران أخرى :

هتفت (سلوى) :

- ولكن لماذا ؟ .. لماذا يحتاجون إلى الطائرات ؟

أشار (رمزى) إلى خريطة كبيرة ، تحتل أحد جدران القاعة ، وهو يقول :

- هذا هو الجواب .

كانت الخريطة تحمل علامة واضحة كبيرة ، فى المنطقة التى يحتلها جبل المقطم الآن ، فقالت (سلوى) :

- ما هذا بالضبط ؟

ضغط (رمزى) أزرار شاشة صغيرة ، وهو يقول :

- من حسن الحظ أن هذا الجهاز مايزال يعمل ، ولم يتلفه الانهيار .

مع ضغطة الزر ارتسمت على الشاشة صور مهتزة ، مع صوت شبيه بالفحيح ، يحمل ما يشبه تعليمات القتال ، بالنسبة للفرسان العشرة ، إذا ما عادوا إلى وعيهم بعد الفترة المحدودة ، ووجدوا حضارة أخرى على كوكب الأرض ..

وعلى الرغم من أن اللغة لم تكن معروفة قط فى عالمنا ، إلا أن الصور التى ارتسمت على الشاشة كانت أكثر وضوحا مما ينبغى ..

وكانت تصف الخطة ..

لقد وضع هذا الشعب أقوى وأكثر أسلحته فتكـا وتدميرا ، فى مخبأ سرى آخر ، فى قاع جبل المقطم الحالى ، ولو بلغت تلك المخلوقات ذلك المخبأ الثانى ، واستعادت ذلك السلاح ، فلن تتمكن قوة فى الأرض من التصدى لهم ..

ومع استعراض إمكانات هذا السلاح الرهيب ، اتسعت عيون الجميع فى هلع ..

كان بالفعل كارثة على الأرض كلها ..

وفى توتر بالغ ، قال (نور) :

ـ لابد أن نبذل قصارى جهدنا للخروج من هنـا يارفاق .. لابد أن نلحق بتلك المخلوقات ، قبل أن تبلغ ذلك السلاح ، ويضيع كل شىء .

قالت (سلوى) :

ـ ولكن كيف نخرج من هنا ؟

اتجه إلى خريطة أخرى ، وقال :

ـ هذه الخريطة تشير إلى خطوط الحركة ، داخل ذلك المقر ، ولو اتبعنا هذه الطرق ، فستقودنا حتمًا إلى الفجوة .

قال (رمزى) فى حماس :

ـ هيا بنا إذن .

إتجهوا إلى المخرج الثانى ، الذى جاء منه (رمزى) و (محمود) ، وقد امتلأت عروقهم بمزيج من القلق والحماس ، والرغبة فى بلوغ سطح الأرض ، قبل أن تحصل تلك المخلوقات على سلاحها الرهيب ، ولكن فجأة ، هتف (نور) :

ـ رباه !.. إنها معجزة !

التفت الجميع إلى حيث ينظر ، واتسعت عيونهم فى دهشة ..

كانت أمامهم طائـرة سليمـة من تلك الطائـرات البيضاوية ، وسط كل الطائرات المحطمة ، وكأن الصخور قد تفادتها بالذات ..

وقال (محمود) مبهورًا :

ـ إنها معجزة بحق .

كانت أمامهم طائرة سليمة من تلك الطائرات البيضاوية ، وسط كل الطائرات المحطمة ..

اتجه (نور) إلى الطائرة ، وهو يقول :

ـ ترى هل يمكننا قيادتها ؟

قال (رمزى) :

ـ لن يكون هذا سهلاً ، فهى من كوكب آخر .

صعد (نور) إلى الطائرة ، وهو يقول :

ـ يمكننا أن نحاول على الأقل .

تطلعت (سلوى) إلى ساعتها ، وقالت :

ـ سيستغرق هذا وقتاً يا (نور) .

أجابها (نور) :

ـ اذهبوا أنتم ، عبر الطرق التى تحددها الخريطة ، وسأبقى أنا لفحص هذه الطائرة ، ثم ألحق بكم .

غمغم (رمزى) :

ـ سأبقى معك .

وعند هذه النقطة انقسم الفريق إلى قسمين ، يسعى كل منهما إلى هدف واحد ..

إنقاذ الأرض ..

إنقاذها من غزو جديد ..

* * *

حدقت (نشوى) فى وجه (رمزى) فى دهشة ، عندما انتهى من روايته ، واستطرد :

ـ وهكذا وصلنا فى الوقت المناسب ، بعد أن نجح (نور) فى كشف طريقة قيادة تلك الطائرة ، لننقذ حياتك يا (نشوى) .

هتفت (نشوى) :

ـ حياتى أنا ؟!.. وماذا عن مصير الأرض كلها يا (رمزى) ؟

أجاب فى خفوت :

ـ كل منا سيتولى العمل المنوط به .

بلغوا فى تلك اللحظة موقع القاعدة العسكرية ، وهتفت (مشيرة) :

ـ انظروا .. لقد تعرّضت هذه القاعدة لهجوم ساحق .. لقد أبيدت عن آخرها .

اتسعت عيون (رمزى) و (نشوى) فى هلع ، وهتف (رمزى) :

ـ هذا يعنى ضرورة أن نتحرك فى سرعة .

ولكن (مشيرة) التقطت آلة التصوير الهولوجرافى ، ووثبت خارج السيارة ، وراحت تلتقط الصور للقاعدة المحطمة ، والنيران المشتعلة فى قلبها ، وصاح بها (رمزى) :

ـ لا وقت لهذا .

أجابته فى حدة :

ـ لن أضيع فرصة كهذه .

زفر فى حنق ، وقال :

ـ لن يمكننى احتمال أسلوبها أبدًا .

قالت (نشوى) فى قلق :

ـ أتعنى هذا حقًا ؟

أدهشه صوتها ، فالتفت إليها ، واتسعت عيناه فى ذعر وذهول ..

لقد انخفض عمر (نشوى) مرة أخرى ..

انخفض عامين على الأقل ..

فى عكس اتجاه الزمن .

* * *

٦ - مسألة وقت ..

أجهشت (سلوى) بالبكاء ، فور انطلاق سيارة (مشيرة) ، وقالت :

- بنتنا يا (نور) .. ابنتنا تنهار .

عضّ شفتيه قهرًا ، وهو يقول :

- وكذلك عالمنا يا (سلوى) .

كان يفعل شيئاً يخالف الطبيعة البشرية ، وهو يقاوم حزنه وألمه من أجل ابنته ، ليفكّر فى الأرض ومصيرها ، ويسعى لإنقاذها ..

ولكن هذا ماتعلّمه ..

وما يفرضه عليه موقعه ..

إنه مسئول عن سلامة كوكب بأكمله ..

عن أمنه ..

وحريته ..

وابنته جزء من هذا العالم ..

وطيلة عمره ، كان يتعلّم أنه من الحماقة التضحية بالكل ، فى سبيل الجزء لأن هذا سيعنى ضياع الكل والجزء فى آن واحد ..

ثم أنه لم يضحّ بابنته ..

لقد أسند مهمة إنقاذها إلى (رمزى) ..

أما هو فسيتولى مهمة إنقاذ عالمه كله ..

وفى حزم ، كتم مشاعره وأحزانه فى أعماقه ، وقال لـ (سلوى) و (محمود) :

- هناك سيارة بقيت سليمة ، وسط هذه المذبحة .. خذ (سلوى) معك يا (محمود) ، وانطلق بها حتى القيادة ، وانقل إليهم ماتوصلنا إليه ، واطلب منهم إرسال جيش كامل إلى المقطم ، للحيلولة دون وصول هؤلاء الفضائيين إلى سلاحهم الرهيب .

سأله (محمود) :

- وماذا عنك ؟

أجابه (نور) ، وهو يتجه إلى الطائرة البيضاوية :

- سأتخذ الطريق الجوى .

هتفت (سلوى) :

- وابنتنا يا (نور) ؟

التفت إليها ، وهو يبذل أقصى طاقة لكتمان مشاعره ، وقال :

- اطمئنى يا (سلوى) .. اطمئنى .

لم تكن عبارته تحمل شيئاً محدوداً ، ولكنه لم يكن يملك سواها ، لذا فقد ألقاها ووثب إلى الطائرة ، وأشعل محركاتها ، وانطلق بها مبتعدًا ، وعيناه تقاومان دموعهما بشدة ..

مسكينة هى ابنته ..

مسكينة (نشوى) ..

استعاد فى سرعة ذكريات كل مامرّت به من أحداث ، وتمتم :

ـ لم تكن حياتها طبيعية أبداً .

ارتجف قلبه بين ضلوعه ، وراحت يد باردة تعتصره فى قوة ، حتى عجزت دموع عينيه عن البقاء ، فسالت على وجنتيه ، وهو يضمّ شفتيه فى حزم ..

وتمنى لحظتها أن يربح هذه المعركة ..

تمنى هذا كما لم يتمنّه من قبل ..

تمناه هذه المرة ؛ لأن النصر سيمنحه فرصة لإنقاذ ابنته ..

فرصة أخيرة ..

ومع تلك الدموع ، التى تخنق عينيه ، وتضع أمامهما سحابة مهتزة ، زاد من سرعة الطائرة ، وهو يقترب من القاعدة الجوية ..

وفجأة ، وفى صورة مهتزة ، وقع بصره على القاعدة ..

أو بقايا القاعدة ..

وهتف فى ارتياع :

ـ يا إلهى ؟.. لقد فعلوها .

ومن بعيد ، لاحت له الطائرات الأربع ، وهى تنطلق نحو المقطم ، فمال بطائرته البيضاوية ، وانطلق خلفها ، وهو يقول :

ـ لابد من اللحاق بهم .. لابد .

انطلق فى أثر الطائرات الأربع ، التى اقتربت كثيرًا من المقطم ، ورأى إحدى الطائرات تنفصل عن الأخريات ، وتستدير إليه لتواجهه ..

وفهم الموقف على الفور ..

إنهم سيضيعون وقته فى القتال مع هذه الطائرة ، حتى يمكنهم بلوغ هدفهم ..

وفى مهارة ، انحرف بالطائرة ، وتفادى تلك التى تنقضّ عليه ، ليواصل مطاردته للطائرات الأخرى ..

ولكن الطائرة انقضت عليه فى شراسة ..

وأطلقت مدفعيها ..

وفى اللحظة الأخيرة ، وبمناورة معقدة ، نجح (نور) فى تفادى حزمتى الأشعة ، اللتين انطلقتا نحوه ، وتمتم :

ـ إذن فلا مفرّ من القتال .

ولكن فجأة ، وفى هذه اللحظة فقط ، انتبه إلى طائرة أخرى ، انفصلت عن زميلتيها ، ودارت حوله ، ثم انقضت عليه من الخلف ..

ووقع (نور) في الفخ ..
وقع بين شقي الرحى ..

★ ★ ★

صاح الدكتور (حاتم) في حنق ، وهو يشير إلى (نشوى) ، التي بدت كمراهقة في الخامسة عشرة من عمرها فحسب :

ـ هل رأيت مافعله عنادك ؟.. إنك تخسرين عمرك بهذا .

قالت (نشوى) بصوت خافت متوتر :

ـ كان من المحتم أن أذهب .

صاح بها :

ـ هذا عبث طفولي ، حتى ولو ضايقتك العبارة .

خفضت عينيها في ألم ، وسالت الدموع منهما مرة أخرى ، فاحتضنتها (مشيرة) في حنان ، وهي تقول :

ـ فليكن يا دكتور (حاتم) .. ماحدث قد حدث .. المهم الآن أن ننقذ ماتبقى .

لوح بذراعيه ، وقال :

ـ سنحتاج إلى البدء من جديد ، فالجرعة التي تم حقنها بها ، من عقار النمو الجديد ، كانت جرعة اختبارية فحسب ، ومن الواضح أنها لم تكن كافية .

سأله الدكتور (حجازي) فجأة :

ـ ولكن هل ينخفض عمرها فحسب ؟

التفت إليه الدكتور (حاتم) ، وسأله :

ـ ما الذي تعنيه ؟

أجابه الدكتور (حجازي) في اهتمام :

ـ أعني أنه عندما نمت فجأة ، عمل هؤلاء الذين جعلوها تنمو صناعيًا ، على رفع درجة كفاءة عقلها أيضاً ، بحيث صار متناسبًا مع عمرها .. بل صار في الواقع أكثر تفوقًا ، والآن مع انخفاض عمرها ، هل بقي عقلها كما كان ، أم ....؟

لم يكن يحتاج فعليًا إلى إتمام سؤاله ، فقد فهمه الجميع ، وأدركوا ما يعنيه ، وبدت علامات التفكير العميق على وجوههم ، ثم التفت الدكتور (حاتم) إلى (نشوى) ، وسألها :

ـ كنت تعملين كخبيرة كمبيوتر .. أليس كذلك ؟

ترددت (نشوى) لحظة ، قبل أن تجيب :

ـ بلى .. كان هذا فيما مضى .

جذبها من يدها إلى مكتبه ، وأجلسها أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وهو يقول :

ـ حسن .. دعينا نختبر هذا .

ثم أشعل جهاز الكمبيوتر بلمسة خفيفة ، وقال :

- هذا البرنامج ، الذى ترينه أمامك على الشاشة ، يحتاج إلى تعديل جوهرى ، فهو مسئول عن مراجعة كل الحالات ، التى يتمّ علاجها هنا ، وتصنيفها طبقًا لنوع المرض وحدّته ، ولكننى أريد تبديل هذا التصنيف ، بحيث يعتمد على عمر المريض ومدة علاجه ، هل يمكنك إجراء هذا التعديل ؟

أجابته على الفور :

- بالطبع ..إنه تعديل بسيط .

ومدّت أصابعها إلى أزرار الكمبيوتر ، ثم توقفت بغتة ، والتقى حاجباها فى تفكير عميق ، ثم أعادت أصابعها إلى جوارها ، وهى تحدّق فى الشاشة بتوتر بالغ ، فسألها (رمزى) :

- ماذا هناك ؟

هزّت رأسها فى ارتياع ، وقالت :

- لست أدرى ..فى البداية بدا الأمر بسيطًا وعاديًا ، ولكن فجأة لم أعد أذكر شيئاً .. كل شيء تبخّر من عقلى .. المعادلات .. الأسلوب .. المصطلحات .. كل شيء .

تبادل الدكتور (حجازى) والدكتور (حاتم) نظرة شديدة القلق ، فى حين قال (رمزى) ، وهو يحاول تهدئتها :

- إنه نسيان نفسى على الأرجح .

تطلّعت إليه مردّدة فى دهشة :

- نسيان نفسى ؟!

أجابها بصوت هادئ عميق ، وهو يتطلّع إلى عينيها مباشرة :

- نعم .. نسيان نفسى .. عقلك الباطن يذكر كل شيء ، بدليل أنك أعطيت انطباعًا مباشرًا واضحاً ، عندما ألقيت النظرة الأولى على البرنامج ، وقلت : إن التعديل أمر بسيط ، مما يعنى أنك قد فهمت كل شيء فى لحظة واحدة .. المعادلات ، والمصطلحات ، والأسلوب .. ولكن عندما وضعت أصابعك على لوحة الأرقام ، وبدأت العمل الفعلى ، استعاد عقلك الواعى حديث الدكتور (حجازى) ، وقلقه من انخفاض قدراتك العقلية ، مع انخفاض عمرك ، وامتزج هذا بتوترك الشديد ، مما يحدث لك ، وتصوّرت أنك غير قادرة على فهم ما أمامك .

قالت فى توتر :

- ولكننى لا أفهمه بالفعل .

بدا صوته أكثر هدوءًا وعمقًا ، وهو يقول :

- بل تفهمينه .

تطلّعت إلى عينيه مباشرة ، وخيّل إليها أنهما تتسعان وتتسعان ، وأنها تغوص فى أعماقهما فى بطء ، وصوت (رمزى) العميق يردّد :

ـ إنك تفهمينه .. فقط حاولي .. حاولي ..

شعرت وكأنها تسبح في بحر هادئ عميق ، وسط موسيقى حالمة ، وجسدها يتماوج مع اللحن الانسيابي الناعم ، وفيض من المعلومات يتدفق في عقلها ..

معادلات ..

مصطلحات ..

أسرار ..

وبصوت خافت ، رددت :

ـ نعم .. أفهمه .

ولكن فجأة لم يعد ذلك البحر هادئًا ..

لقد تلاطمت أمواجه ، وتحوّلت موسيقاه الحالمة إلى إيقاع صاخب رهيب ..

ثم ظهر ذلك الوجه ..

وجه أخضر ، له رأس أصلع ، وحراشيف لامعة ، وعيون مضيئة ..

ووسط الإيقاع الصاخب ، بدأت الرسالة ..

رسالة بلغة لامثيل لها على الأرض ..

ولكنها فهمتها ..

لم تدر كيف فعلت ..

ولكنها فهمت ..

وارتسم على وجهها الذعر ..

ذعر هائل رهيب ، جعل صوت (مشيرة) يرتجف ، وهي تسأل :

ـ ماذا أصابها ؟

تراجع (رمزي) ، وهو يقول :

ـ لست أدري .. كان كل شيء يسير على مايرام .

ثم عاد يميل نحو (نشوى) ، وطرقع سبّابته وإبهامه أمام عينيها ، قائلًا :

ـ هيا .. استيقظي يا (نشوى) .. استيقظي .

ولكن (نشوى) لم تستجب ..

وعلى وجهها تحوّل الذعر إلى رعب هائل ..

رعب بلا حدود .

★ ★ ★

« زوجة الرائد (نور الدين) تطلب مقابلتك ياسيدي .. » .

تلقى القائد الأعلى هذا النداء في دهشة ، فهبّ من مقعده ، هاتفًا :

ـ (سلوى) ؟! .. هل عادت من الفجوة ؟

هتف الدكتور (ناظم) بدوره :

ـ مستحيل !

ولكن القائد الأعلى قال فى توتر :

- دعها تدخل على الفور .

انفتح باب حجرة مكتبه ، ودخلت (سلوى) بزيها الفضائى ، ودون خوذتها ، وهى تقول :

- سيدى .. الأرض فى خطر .

أشار إليها القائد الأعلى بالجلوس ، وهو يقول :

- اجلسى .. اجلسى أولا يابنيتى ، وقصى كل مالديك .

وسألها الدكتور (ناظم) فى لهفة :

- هل نجوت وحدك من الفجوة ؟

أجابته فى توتر :

- بل نجونا كلنا يادكتور (ناظم) ، ولكن ليس هذا هو المهم الآن .. فهناك عدد من مخلوقات كوكب آخر ، يسعون للسيطرة على الأرض .

قال القائد الأعلى :

- أخبرينا كل مالديك يابنيتى .

قصت عليه أمر ذلك السلاح السرى الرهيب ، الذى تسعى المخلوقات للوصول إليه ، فى قلب جبل المقطم ، واستمع إليها القائد الأعلى فى توتر بالغ ، قبل أن يقول :

- يا إلهى ! .. أتعشم أن نصل فى الوقت المناسب .

ثم ضغط أزرار مكتبه ، وراح يلقى أوامره لفرق الطوارئ فى حين سأل الدكتور (ناظم) (سلوى) :

- أين رفاقك ؟

أجابته فى تهالك :

- (نور) يطارد المخلوقات ، و (رمزى) يحاول إنقاذ (نشوى) ، أما (محمود) ، فيشعل جهاز التفجير ، لنسف الفجوة كلها .

هتف الدكتور (ناظم) :

- وحده ؟! .. لن يمكنه هذا أبدًا .. سيطيح به الانفجار ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، تألقت شاشة الراصد المجاور ، وأعلنت حدوث انفجار ذرى محدود ، فى الصحراء الغربية ..

وفى موقع الفجوة بالضبط ..

* * *

لم يكن الفرار سهلًا ..

بل لم يكن ممكنًا تقريبًا ..

لقد حاصرت الطائرتان (نور) ، فى تكتيك مدروس ، وأوقعتاه فى فخ محكم ، ثم انقضتا عليه فى آن واحد ..

ولكن (نور) لم يستسلم ..

لم يكن من السهل أبدًا أن يفعل ..

لقد اعتاد أن يقاتل دائمًا حتى آخر رمق ..

وفجأة أوقف (نور) محركات طائرته ، وتركها تهوى ..

ومع تلك المبادرة المباغتة ، خرجت الطائرة من مرمى نيران المقاتلتين ، ثم أشعل المحُرك مرة أخرى ، وارتفع ليواجه المقاتلتين مرة ثانية ..

وانقضت عليه إحدى المقاتلتين ، ولكنه أطلق أشعة طائرته عليها ، فى نفس اللحظة التى أطلقت هى أشعتها نحوه ..

وأصابت أشعة (نور) جناح الطائرة ، فى حين أصابت أشعة المقاتلة باطن طائرته ..

ومالت المقاتلة فى عنف ، فى حين ارتفعت فرقعة شديدة من باطن طائرة (نور) ، وارتجفت فى شدة ..

أما المقاتلة التى أصيبت ، فقد انحرفت بحركة حادة ، ومالت إلى أسفل ، وهوت بسرعة مدهشة ..

ورأى (نور) المخلوق الذى يقودها ، وهو ينطلق بمقعده خارجها ، ثم يهبط بمظلته ، ثم رأى المقاتلة الثانية تنقضّ عليه ، فاستدار ليواجهها ، ولكنها أطلقت أشعتها نحوه أوّلا ، وشعر بطائرته ترتجف فى عنف ، ثم فقدت توازنها ، وراحت تهوى فى سرعة ..

وانقضّت عليه إحدى المقاتلتين ، ولكنه أطلق أشعة طائرته عليها ، فى نفس اللحظة التى أطلقت هى أشعتها نحوه ..

وضغط (نور) زر إطلاق مقعد القيادة ، لينجو بنفسه من الطائرة الساقطة ..

ولكن الزر لم يؤد عمله ..

ولم ينطلق مقعد القيادة ..

وأمام عينى (نور) ، راح جبل المقطم يقترب بسرعة مخيفة ..

والطائرة تهوى ..

وتهوى ..

وتهوى ..

* * *

٧ ـ الانفجـــار ..

فحص (محمود) أجهزة التفجير فى عناية ، ثم التقط نفساً عميقًا ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. ضغطة زر واحدة ستشعل جهاز التفجير ، ويكون أمامى ربع الساعة للابتعاد عن هنــا ، قبل الانفجار .

عاد يدرس الأرقام والاستعدادات مرة أخرى ، ثم استطرد :

ـ هذه القنبلة محدودة التأثير ، ونشاطها الإشعاعى لن يتجاوز الفجوة ، وسيقلّل الانهيار من تأثيره أكثر وأكثر .. من حسن الحظ أنهم توصلوا إلى تلك القنابل الذرية ، ذات النشاط الإشعاعي المحدود ، فالتلوث النووى بلغ حدًا مقلقًا ، حتى أنه لايحتمل المزيد .

تلفّت حوله ، بحثًا عن وسيلة للابتعاد عن موقع التفجير ، فى الوقت المناسب ، ثم وقع بصره على عدد من السيارات ، اصطدم بعضها بالبعض ، فاتجه إليها ، وراح يدير محركاتها ، واحدًا بعد الآخر ، حتى اشتعل محرّك إحداها ، فتنفّس الصعداء ، وقال :

ـ حمدًا لله .. هناك وسيلة للفرار من هنا .

اتجه إلى جهاز التفجير ، وتردد لحظة ، ثم حسم أمره ، وقال :

ـ فليكن .. سأبدأ على بركة الله .

وضغط زر التفجير ، ورأى شاشة الجهاز تحدد الزمن المتبقى قبل التفجير ، ثم راحت تختصر الوقت فى عد تنازلى رتيب ، فأسرع هو نحو السيارة ، وقفز داخلها ، مغمغمًا :

ـ المفروض أن أبتعد لمسافة أربعة كيلومترات على الأقل ، حتى يمكننى الابتعاد عن مجال التفجير .. من حسن الحظ أيضاً أن التفجير سيتمّ فى أعماق الفجوة ، وإلا كان من الضرورى أن أبتعد مائة كيلو متر على الأقل .

انطلق بالسيارة فوق الرمال ، مبتعدًا عن موقع التفجير ، وعيناه تطالعان عداد المسافة ، ليطمئن إلى تجاوز نطاق الخطر ، وردد فى توتر :

ـ كيلو متران فحسب ، وأتجاوز منطقة الخطر ، و ..

وفجأة أطلق المحرك فرقعة مخيفة ، ووثبت السيارة فوق الرمال على نحو بالغ الخطورة ، وصرخ (محمود) :

ـ ماذا أصاب تلك اللعينة ؟

انطلقت فرقعة أخرى أكثر عنفًا ، ثم توقف المحرك دفعة واحدة ، وقفزت السيارة قفزة عنيفة إلى الأمام ، ثم انقلبت فى عنف ، وتدحرجت مرة واحدة فوق الرمال ،

قبل أن تستقر مقلوبة رأساً على عقب ، و (محمود) داخلها ، وقد انحشر جسده بين المقعد وعجلة القيادة ..

وفى صعوبة ، راح (محمود) يدفع جسده خارج السيارة ، وهو يشعر بآلام شديدة فى صدره وظهره ، وزحف أسفل السيارة ، وخيط من الدماء يتبعه ، حتى غادر السيارة ، وهو يلهث فى شدة ، وارتمى على الرمال الساخنة ، وجرح فى رأسه ينزف فى بطء ..

ثم تطلّع إلى ساعته ..

وانتفض قلبه ذعرًا ..

لم يعد أمامه سوى تسع دقائق فقط قبل الانفجار ..

ولقد فقد السيارة ..

وفى توتر بالغ ، نهض (محمود) ، وهو يتمتم :

ـ تُرى هل يمكن أن أنجح ؟.. أذكر أن سرعة سير الإنسان العادى هى ستة كيلو مترات فى الساعة(*) ، وهذا يعنى كيلو متر واحد كل عشر دقائق ، فكم تبلغ سرعة العدو فوق الرمال ؟

قالها وانطلق يعدو فوق الرمال ، مبتعدًا عن مركز الانفجار ..

(*) حقيقة علمية .

كانت الآلام تنتشر في جسده كله ، والدماء تنزف من جرح رأسه ، ولكن غريزة البقاء في أعماقه كانت تمنحه قوة إضافية ، وهو يعدو ، على الرغم من صعوبة العدو فوق الرمال ..

وأخذ (محمود) يلهث في شدة ، وأنفاسه تتلاحق على نحو يؤلم صدره وذراعيه ، ولكنه لم يتوقف عن العدو ، والوقت يتناقص في سرعة ، كما لو أن الزمن قد أصيب بشراهة مباغتة ، فراح يلتهم الدقائق أسرع من المعتاد ..

وهتف (محمود) :

- ترى هل تجاوزت الـ ...

وقبل أن يتم عبارته دوى الانفجار ..

ولم يعد هناك ما يقال ..

* * *

تحركت أصابع (نور) في توتر ، وهو يضغط زر إطلاق مقعد القيادة عدة مرات ، هاتفًا :

- هيا ..انطلق .. لن تضيع الأرض بسبب عطل تافه كهذا .

لم يكد يتم قوله حتى استجاب له الزر كما لو أنه يشعر أيضاً بالقلق على مصير كوكب الأرض ..

وفجأة ، وجد (نور) نفسه ينطلق خارج الطائرة البيضاوية ..

ولكن بدون مظلة ..

لم تكن تلك الطائرات تستخدم مظلة ، وإنما كرة شفافة عجيبة ، انطلقت من أسفل المقعد ، وأحاطت به إحاطة تامة ، ثم راحت تهبط في بطء ..

وتمتم (نور) :

- حمدًا لله .. صحيح أن الهبوط يختلف ، ولكنه آمن على أية حال .

ومن مكانه ، رأى الطائرات الثلاث تهبط وسط أحد الطرق ، على قمة المقطم ، ورأى المخلوقات الثلاثة تغادرها ، وينضمّ إليها المخلوق الرابع ، الذي هبط بالمظلة ، ثم يتجه الأربعة نحو واحدة من الفيلات الأنيقة ، المقامة على هضبة المقطم ..

ومع هبوطه ، رآهم (نور) يقتحمون الفيلا ببنادقهم الأسطوانية ، وينسفون جدرانها وسقفها ، ويقتلون سكانها بلا رحمة ، فهتف :

- هذه الفيلا تسد المدخل إلى مخبأ سلاحهم الرهيب .

شعر بالحنق لبطء الهبوط ، وتمنى لو أمكنه الوصول بسرعة ، ليحاول منع هذه المخلوقات من بلوغ سلاحها الرهيب ، ولكن المقعد واصل هبوطه بنفس البطء ،

حتى بلغ الهضبة ، وعندئذ تلاشت الكرة الشفافة من حوله ، وكأنها لم توجد قط ، وحلّ (نور) حزام مقعده ، ثم اندفع نحو الفيلا ، التى تحولت فى لحظات إلى حطام ، ورأى جثث ساكنيها ، وقد تحولت إلى أجساد رخوة محطمة ، وهتف فى سخط :

ـ لابد من منعهم .. لابد .

وراح يزيل الحطام فى عصبية ، حتى يشق طريقه إلى الجدار الجبلى ، الملاصق للفيلا ، ولم يكد يرفع بابًا متهالكًا ، حتى توقف مبهوتًا ..

كان الجزء المواجه له تمامًا هو الجدار الجبلى ، وقد انهار جزء منه ، وبدت خلفه فجوة كبيرة ، يسدها باب عجيب آخر ، يتألق ببريق أخضر ..

وقال (نور) فى عصبية :

ـ (محمود) لم ينجح فى عبور ذلك الباب فى سلام ، دون خوذته الواقية ..

ولكنه لم يلق مصرعه أيضًا .. صحيح أن هذا الباب أكبر حجمًا ، ولكننى أعتقد أن التأثير لن يختلف ، مع اختلاف الحجم .

تحسس المسدس الليزرى ، الذى حصل عليه من (محمود) ، وأدرك أنه سلاحه الوحيد فى مواجهة الغزاة الأربعة ، وأمله الوحيد فى إنقاذ الأرض من مصير مظلم

آخر ، ثم تراجع بضع خطوات ، وهم بالاندفاع نحو الباب العجيب ، عندما سمع فجأة تلك الحركة الخافتة خلفه ، فالتفت إلى مصدرها فى سرعة ، ولكن قبل أن يسحب مسدسه الليزرى ، رأى أمامه ذلك المخلوق ، الذى بقى لحراسة المكان ، والذى صوّب إليه بندقيته ، و ...

وأطلق الأشعة ..

* * *

ارتسم الرعب بأبشع صوره على وجه (نشوى) ، وراح جسدها يرتجف فى قوة ، وهتف بها (رمزى) ، وهو يمسك كتفيها :

ـ استيقظى يا (نشوى) .. استيقظى .

صاح به الدكتور (حاتم) :

ـ ما الذى فعلته بها بالله عليك ؟

أجابه (رمزى) متوترًا :

ـ إنها جلسة تنويم مغنطيسى فحسب .. أردت تحرير عقلها الباطن من سيطرة الخوف والقلق .

صاح به الدكتور (حاتم) فى غضب :

ـ وهل حررتها هكذا ؟

هتف (رمزى) :

ـ ما يحدث غير طبيعى .. لقد أصيبت بانهيار عصبى ، أو ...

بتر عبارته بغتة ، وحدق فى وجهها لحظة ، قبل أن يتابع :

- أو أن التنويم المغنطيسى قد أيقظ فى عقلها شيئا ما .

سألته (مشيرة) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟

أجاب الدكتور (حجازى) :

- إننى أفهم ما يقصده يا (مشيرة) ، فعندما لقن سادة الأعماق عقل (نشوى) علوم الأرض ، ورفعوا درجة ذكائها ، غرسوا فيها أيضًا نوعًا من السيطرة العقلية ، جعلها تهاجم والدها دون أن تدرى(*) ، و (رمزى) يخشى ألا يكون هذا هو الشىء الوحيد ، الذى غرسوه فى عقلها ، فى تلك الفترة .

قالت (مشيرة) فى اضطراب :

- ولكن هذا كان منذ خمس سنوات !

أجابها (رمزى) فى توتر :

- الرسائل العقلية يمكن أن تبقى مدى الحياة .

وفجأة ، انتفضت (نشوى) ..

انتفضت فى قوة ، ثم حدقت فى الجميع بذهول تام ، فتطلعوا إليها بدورهم ، واقترب منها الدكتور (حجازى) فى حذر ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣) .

- (نشوى) .. هل ..

أدارت عينيها إليه بحركة حادة ، جعلته يتراجع بسرعة ، ثم لم تلبث أن فركت عينيها بكفيها ، وقالت :

- أين أنا ؟

أجابها (رمزى) فى خفوت حذر :

- أنت هنا يا (نشوى) .. بيننا .. لاتخشى شيئا .. كل الأمور ستسير على مايرام ، ولن يحدث أدنى خلل ، ولا ..

هتفت فجأة :

- أبى .. إنه وحده .

سألتها (مشيرة) فى دهشة :

- ماذا تعنين ؟

- هبت من مقعدها ، هاتفة :

- أبى وحده .

ثم اختطفت مفاتيح سيارة (مشيرة) ، وانطلقت تعدو خارج الحجرة ، وهى تصرخ فى عصبية شديدة :

- أبى يواجه الخطر وحده .

صاح الدكتور (حاتم) :

- الحقوا بها .. قد تؤذى نفسها .

انطلق (رمزى) خلفها ، وهو يهتف بها :

- انتظرى يا (نشوى) .. انتظرى .

ولكنها راحت تركض بسرعة مدهشة ، حتى تجاوزت المستشفى ، ثم وثبت داخل سيارة (مشيرة) ، وأشعلت محركها ، فاتجه إليها شرطى المرور ، وقال :

- معذرة يا آنستى الصغيرة ، ولكن القانون لايسمح لمن هم فى مثل سنك بقيادة هذه الـ ..

انطلقت فجأة بالسيارة ، قبل أن يتم عبارته ، فصاح فى غضب :

- توقفى ، أو أمنعك من القيادة طيلة عمرك .

ثم قفز فوق دراجته الصاروخية بدوره ، وانطلق خلفها ..

ولكنها لم تهتم ..

لقد جندت عقلها كله لأمر واحد ، منذ استعادت تلك الرسالة العقلية ..

أمر يتعلق بوالدها ..

وبمصيرها ..

بل بمصير الأرض كلها ..

* * *

تفادى (نور) الطلقة بمعجزة ..

قفز مبتعدًا فى اللحظة الأخيرة ، قبل أن يضغط ذلك المخلوق زناد بندقيته ، ورأى الأشعة تنطلق ، وتصيب الباب العجيب ..

ثم حدثت ظاهرة مدهشة ..

لقد اختفى الباب ، فور إصابته بالأشعة ، وظل مختفيًا لحظة ، ظهر خلالها ممر طويل خلفه ، قبل أن يعود الباب للظهور ، ويعود المخلوق لتصويب بندقيته إلى (نور) ..

وفى هذه المرة استل (نور) مسدسه من غمده ، وأطلق أشعته نحو المخلوق ، ولكن الأشعة أصابت صدر المخلوق ، وارتدت عنه فى عنف ، فى حين صوّب هو بندقيته فى حزم ، وضغط الزناد ..

وفى هذه المرة تصوّر (نور) أنه هالك لامحالة ..

لولا تلك المفاجأة ..

لقد ظهرت (نشوى) فجأة ، من خلف المخلوق ، وانقضت عليه لتحيط عنقه بذراعها ، فارتفعت فوهة بندقيته ، وانطلقت الأشعة إلى بقايا سقف الفيلا ، الذى انهار على الفور ، فى حين لطم المخلوق (نشوى) فى عنف ، وألقاها أرضًا ، وصاح (نور) ، وهو يندفع نحوه :

- هل تضربون الفتيات فى كوكبك ؟

لقد ظهرت (نشوى) فجأة .. من خلف المخلوق ، وانقضت عليه لتحيط عنقه بذراعيها ..

وبكل غضبه وعنفه ، كال للمخلوق لكمة كالقنبلة ، ألقته أرضًا ، وأسقطت بندقيته بعيدًا ، ولكن المخلوق نهض في سرعة ، واستقبل هجوم (نور) الثاني في خفة ، وأمسك قبضة (نور) ، قبل أن تبلغ فكه ، ثم لوى ذراعه خلف ظهره في قوة ، ودفعه بقدمه في منتصف عموده الفقرى تمامًا ..

وشعر (نور) بآلام مبرحة ، في منتصف ظهره ، ولكنه قاوم لينهض ، ورأى المخلوق ينقضّ عليه ثانية ، و ...

وفجأة انطلقت الأشعة ، وأصابت المخلوق ، الذى انتفض في قوة ، ثم هوى جثة هامدة ، وقد تحوّل إلى جسد رخو مخيف ..

وتطلّع (نور) في دهشة إلى (نشوى) ، التى بدت عجيبة الشكل ، في ملامحها الطفولية ، وهى تمسك بندقية المخلوق ، وتقول في اضطراب :

ـ لقد .. لقد أنقذتك .

لاحظ عمرها الذى انخفض أكثر ، ولكنه لم يعلق على هذا ، وإنما اتجه إليها ، والتقط البندقية من يدها ، وهو يقول :

ـ نعم .. أنقذت حياتى .

فحص البندقية بسرعة ، وهو يسترجع ما أخبره

(محمود) عنها ، ثم اتجه ببصره إلى دائرة صغيرة أسفل البندقية ، قبل أن يسأل (نشوى) :

ـ ولكن كيف وصلت إلى هنا ؟

قالت في حيرة :

ـ لست أدرى .. لقد أخضعنى (رمزى) لجلسة تنويم مغنطيس ، وفجأة تلقيت رسالة عجيبة ، ثم رأيتك فى هذا الموقف ، تواجه ذلك المخلوق ، وأنبأنى شىء ما فى أعماقى ، أنه من الضرورى أن أهرع إليك على الفور ، وأنقذك .

تطلع إليها فى دهشة ، وقال :

ـ كيف حدث هذا ؟

هزت كتفيها ، وقالت :

ـ لست أدرى .

كان يرغب فى إلقاء عشرات الأسئلة عليها ، ولكنه لم يشأ إضاعة المزيد من الوقت ، فاستدار إلى الباب ، وهو يمسك بندقية المخلوق ، ويصوبها إلى الباب ، قائلاً لـ (نشوى) :

ـ لقد حضرت فى الوقت المناسب على أية حال .

أمسكت يده ، قائلة :

ـ سأصحبك .

قال فى حزم :

ـ كلا .. لست أدرى ما سنواجهه بالداخل .

كررت فى عناد :

ـ سأصحبك على أية حال .

أبعدها فى رفق ، وعاد يصوب البندقية إلى الباب ، ثم ضغط الدائرة الصغيرة أسفلها ، ورأى حزمة الأشعة فوق الصوتية تنطلق منها ، وتصيب الباب ، الذى اختفى على الفور ، فوثب عبره ، هاتفًا :

ـ انتظرينى يا (نشوى) .

ترددت لحظة ، وسمعت صوت دراجة الشرطـى الصاروخية تتوقف ، أمام حطام الفيلا ، فحسمت ترددها ، واندفعت نحو الباب ، صائحة :

ـ سأصحبك يا أبى .

ووثبت نحو الباب ، الذى عاد إلى موضعه قبل أن تبلغه بسنتيمتر واحد ، وصاح (نور) :

ـ احترسى يا (نشوى) .

ولكن (نشوى) اخترقت الباب ، وأطلقت بدورها صرخة مدوية ، ثم سقطت عند قدمى والدها ..

سقطت كالجثة الهامدة .

* * *

٨ ـ وكانت النهاية ..

شحب وجه (سلوى) فى شدة ، وهى تستمع إلى (رمزى) ، وهوى جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تردد :

ـ ماذا أصابها ؟.. هل فقدت عقلها ؟

أجابها الدكتور (حاتم) :

ـ بل فقدت اتزانها على الأرجح ، واستعادت عقلها الطفولى بكل عناده وحماقاته .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ هذا ليس صحيحًا .. تجربتى تثبت أنها مازالت تحتفظ برجاحة العقل .

قال الدكتور (حاتم) :

ـ كيف تفسر ما فعلته إذن ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لقد أيقظنا فى عقلها رسالة ما ، أو أنه انطلق بكل قوته ، وتخطى حدود الزمان والمكان ، فأمكنها رؤية والدها ، وهو يواجه خطرًا ما .

انتفضت (سلوى) ، وهتفت :

ـ (نور) .. هل رأت (نور) يواجه خطرًا ما ؟

قال الدكتور (حجازى) فى سرعة :

ـ إنه مجرد احتمال .

هبت من مقعدها ، قائلة :

ـ وأنا أميل إليه .

ثم التقى حاجباها ، وهى تستطرد :

ـ وفى هذه الحالة ، يمكننى معرفة أين هما بالضبط .

اندفعت (مشيرة) إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، وهتفت :

ـ المخلوقات هاجمت قبلا فى المقطم ، وسحقتها سحقًا ، ثم اختفت داخل الجبل ، وهناك شرطى مرور مصاب بالذهول ، ويقول :إنه شاهد فتاة صغيرة تعبر بابًا هلاميًا ، يتألق ببريق أخضر ، وأنها عبرته كما لو كانت مجرد شبح ، أو صورة هولوجرافية ، ثم أطلقت صرخة مدوية ، مازالت عروقه ترتجف لها حتى الآن .

هتفت (سلوى) فى هلع :

ـ (نشوى) !

وواصلت (مشيرة) :

ـ والقوات الخاصة تحتل المنطقة الآن ، وتحاول البحث عن وسيلة لدخول الجبل ، بعد أن فشلت محاولاتهم لعبور ذلك الباب العجيب .

قالت (سلوى) فى حزم :

ـ سأذهب إلى هناك .
وتبعها (رمزى) ، قائلا :
ـ وأنا أيضًا .
لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع صوت مألوف ، يقول :
ـ لاتنسيانى ، وإلا فلن يكتمل الفريق .
التفتوا جميعًا إلى مصدر الصوت ، وهتفت (سلوى) :
ـ (محمود) .. حمدًا لله .. إذن فقد نجوت .
صافحهم (محمود) فى إرهاق ، وهو يقول :
ـ من حسن الحظ ، فقد تجاوزت منطقة الخطر ، قبل لحظات من الانفجار ، ولكن هذا لم يمنع موجة التضاغط الناشئة من دفعى عدة أمتار إلى الأمام ، وإلقائى بمنتهى العنف فوق الرمال .
ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال :
ـ ولكننى نجوت على أية حال ، وعثر علىَّ فريق الإنقاذ ، وأحضرونى إلى هنا .
ووضع يده على كتف (رمزى) ، مستطردًا فى حزم :
ـ إنه ترتيب القدر ، الذى قرر أن ينطلق الفريق كله مرة أخرى لإنقاذ الأرض .
قال الدكتور (حجازى) فى خفوت :
ـ ليس المهم أن ينطلق الفريق لإنقاذ الأرض .

وتنهد فى عمق ، قبل أن يستطرد :
ـ المهم أن ينجح فى هذا ..
وكان على حق ..
المهم أن ينجحوا ..

★ ★ ★

شعر (نور) بقلبه يثب من صدره ، عندما سمع صرخة ابنته ، ورآها تخترق الباب ، ثم تهوى تحت قدميه ، فصاح :
ـ (نشوى) .. ابنتى :
اندفع نحوها يفحصها فى ذعر ، وشعر بأطرافها باردة كالثلج ، ولكن قلبها كان ينبض فى انتظام ، فتمتم :
ـ نفس ما أصاب (محمود) .. لو أن التأثير واحد بالنسبة للجميع ، فستستعيد وعيها بعد فترة قصيرة .
لم يكن من السهل عليه أبدًا أن يترك ابنته الوحيدة ، فى موقف كهذا ، ولكنه كان يعلم أن مصير الأرض كلها قد يتوقف على دقيقة واحدة ، يصل فيها إلى هؤلاء المخلوقات ، فى الوقت المناسب ..
دقيقة واحدة ..
بل ثانية واحدة ، قد تصنع فارقًا ضخمًا ..
وفى ألم ومرارة ، تمتم وكأنه يتحدث إلى ابنته :

- سامحينى يا (نشوى) .. أعلم أنك تحتاجين إلى وجودى ، ولكن مصير الأرض كلها قد يتوقف على وصولى فى الوقت المناسب .

انحنى يطبع قبلة على جبينها ، ثم اعتدل ، واستنشق الهواء فى عمق ، وألقى نظرة أخيرة على ابنته ، وهو يتساءل عما إذا كان سيراها مرة أخرى أم لا ، وبعدها اتخذ طريقه فى حزم ..

كان الممر طويلًا مظلمًا ، ولكنه انتهى إلى قاعة هائلة ، حوت ذلك السلاح الرهيب ..

وفى ذهول ، حدّق (نور) فى السلاح الهائل ..

لم يصدّق أن هذا السلاح العملاق ظل يختفى ملايين السنين ، فى قلب جبل المقطم ، دون أن ينتبه إليه مخلوق واحد ..

كان سلاحًا فى حجم بناية متوسطة ، تتوسطه شاشة كبيرة ، ظهرت عليها صورة كوكب الأرض ، فى حين انهمكت المخلوقات الثلاثة فى إعداد السلاح ، استعدادًا لتشغيله ..

والتقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يقول لنفسه :

- حمدًا لله .. لقد وصلت فى الوقت المناسب ، قبل أن يبدأ تشغيل الجهاز .

شاهد على الشاشة صورة كوكب الأرض ، وهو يسبح

فى الفضاء ، ويدور فى فلكه المنتظم ، ورأى المخلوقات الثلاثة تتخذ مواقعها ، وتستعد لتشغيل الجهاز ، فقال فى حزم :

- فليبدأ القتال ، على بركة الله .

ومع آخر حروف كلماته ، تألق مصباح أحمر أعلى الشاشة ، وبرزت عدة أنابيب ضخمة من السلاح ، فوثب (نور) من مكانه ، وصاح :

- هذا من أجل الأرض ..

وأطلق بندقيته ..

ولكن المفاجأة لم تأت من نصيب المخلوقات الثلاثة ..

بل كانت من نصيبه هو ..

إن بندقيته لم تعمل ..

لم تطلق شيئًا على الإطلاق ..

وبدلًا من هذا ، التفت إليه الثلاثة ، ثم أشار أحدهم نحوه ، قبل أن يستلّ كل منهم سلاحًا مختلفًا ، عبارة عن كرة شفافة ، تمتدّ منها أنبوبة نصف شفافة ..

وانطلقت الأسلحة الثلاثة نحوه ..

وبقفزة جانبية . تفادى (نور) الأشعة التى انطلقت نحوه ، ورآها ترتطم بأحد أجزاء السلاح الرهيب ، وتنتشر حوله طبقة كثيفة من الجليد ، فتراجع فى سرعة ، وانطلق

يعدو مبتعدًا عن مرمى النيران ، ويختفى وسط أجزاء السلاح الضخم ، وسمع المخلوقات تتبادل مع بعضها حديثًا كالفحيح ، ثم سمع وقع أقدام اثنين منهم تتحرّك فى المكان ، فى حين بقى الثالث أمام الشاشة التى تنقل صورة الأرض ..

وبصوت عميق ، وإيقاع رتيب ، راحت كلمات مبهمة تتردد فى المكان ، والمخلوقان يبحثان عن (نور) ..

وفهم (نور) مايعنيه هذا الإيقاع الرتيب ..

إنه العد التنازلى لبدء تشغيل السلاح ..

وعندما يتوقف هذا العد سيبدأ السلاح عمله ..

وتنهى الأرض عملها ..

وإلى الأبد ..

وتضاعف التوتر فى أعماق (نور) ، وهو يتحرّك فى عصبية ، محاولا البحث عن مخرج ..

وفجأة برز أمامه أحد تلك المخلوقات ، وصوّب إليه سلاحه الجديد ..

سلاح الجليد ..

وفى هذه المرة ، لم يكن هناك مفر ..

كان (نور) داخل ممر ضيق ، والمسافة التى تفصله عن المخلوق كبيرة ، ولايوجد مفرّ واحد ..

بل لايوجد أمل واحد ..

أدنى أمل ..

* * *

أشار أحد رجال فرقة الطوارئ إلى سيارة الفريق ، التى تقترب فى سرعة ، فضغط (رمزى) فراملها ، وأوقفها على قيد متر واحد من الرجل ، الذى قال فى حزم :

ـ معذرة أيها السادة ، ولكن هذه المنطقة مغلقة ، ولايمكن دخولها إلابتصريح خاص .

أجابه (رمزى) :

ـ نحن أفراد فريق علمى خاص ، يتبع المخابرات العلمية .

ثم أبرز بطاقته ، وبطاقتى (محمود) و (سلوى) ، وطالع الرجل البطاقات الثلاث ، ثم أعادها إلى (رمزى) ، قائلًا :

ـ معذرة .. ولكن حتى هذا لايبيح لكم الدخول .

قالت (سلوى) فى عصبية :

ـ كيف هذا ؟.. زوجى وابنتى بالداخل ، و ...

قاطعها الرجل فى حزم :

ـ الأوامر تحتم وجود تصريح خاص .

كادت (سلوى) تحتدّ مرة أخرى ، ولكن فجأة سمع الثلاثة صوت قائد فرقة الطوارئ ، وهو يقول للجندى :

- دعهم يعبرون .. لقد أبلغتنا إدارة المخابرات العلمية بوصولهم .

أفسح لهم الجندى الطريق ، فى حين استقبلهم القائد ، قائلا :

- يبدو أنكم تمثلون أهمية بالغة ، فقد تلقيت أمرًا مباشرًا من القيادة العليا للمخابرت العلمية ، بالسماح لكم بالمرور ، ويقولون إن لديكم معلومات بالغة الأهمية ، بشأن ما نواجهه .

أجابته (سلوى) :

- إننا نعرف خطورة ذلك السلاح على الأقل .

تنهّد القائد ، وقال :

- إننا لانعلم أى شىء ، سوى أننا هنا لمنع استخدام سلاح رهيب ، قد يؤدى إلى تدمير الأرض كلها .

قال (محمود) :

- إنه سلاح رهيب بحق .

سأله القائد :

- ومامعلوماتك عنه ؟

أجابه (محمود) :

- إنه سلاح لامثيل له على كوكب الأرض ، وهو عبارة عن أنابيب دفع قوية ، تمتدّ إلى باطن الأرض ، وتستخدم الحمم الملتهبة فى أعماقها ، لتستمد منها طاقة دفع خرافية ، يمكنها تحويل الجهاز كله إلى محرّك عملاق ، يدور بعكس اتجاه دوران الأرض .

عقد القائد حاجبيه ، وهو يقول :

- وما الذى يمكن أن يفعله هذا ؟

أجابه (رمزى) هذه المرة :

- لو تم بحسابات دقيقة ، فإنه قادر بقوته الرهيبة على إيقاف دوران الأرض دفعة واحدة .

اتسعت عينا القائد فى ذهول ، وهو يقول :

- يا إلهى ! .. أيوجد شىء يمكنه هذا ؟!

قالت (سلوى) :

- فقط هذا الشىء ، والتوقف المفاجئ لدوران الأرض أمر بالغ الخطورة ، ففى البداية سيؤدى ذلك التوقف المباغت إلى حدوث خلل فى عجلة الجاذبية ، وستندفع الأجسام كلها بعيدًا عن الأرض ، بفعل القصور الذاتى ، ثم تعود لتهوى فوقها بمنتهى القوة والعنف ، وهذا سيؤدى إلى مصرع الملايين فى لحظات معدودة ، أما من يتبقّى على قيد الحياة فسيكون الأسوأ حظًا .. إذ أنه سيموت مع

مرور الوقت ، على نحو أكثر قسوة وبشاعة ، إذ أن توقف الأرض عن الدوران سيقسمها إلى قسمين .. قسم يواجه الشمس باستمرار ، وقسم مظلم باستمرار ، بعد أن يتوقف تعاقب الليل والنهار ، وفى القسم المواجه للشمس سترتفع الحرارة إلى حد رهيب ، فتغلى البحار والمحيطات ، ويموت البشر والحيوانات والطير ، وفى النصف الآخر تنخفض الحرارة مئات الدرجات تحت الصفر ، وتكسو الثلوج كل شىء ، ويموت أيضًا النبات والحيوان ، وحتى الإنسان .. هذا إلى جوار اختلال التوازن الحرارى للأرض ، الذى سيؤدى إلى تحركات عنيفة بالغلاف الجوى ، ورياح مدمرة ، وأعاصير جارفة ، تقتلع كل شىء ، وتتفجر البراكين ، وتتصاعد الحمم ، و ...(*)

قاطعها قائد فرقة الطوارئ فى توتر :

- كفى .. لم يعد الأمر يحتاج إلى المزيد من الشرح .

إلا أنه عاد يلقى سؤالاً آخر فى اهتمام :

- ولكن لماذا يفعل هؤلاء الغزاة هذا ؟.. إنهم سيلقون مصيرنا نفسه .

أجابه (محمود) .

(*) حقيقة علمية ، تحدثت عنها كل النظريات التى ناقشت آثار أى توقف مباغت لدوران الأرض .

- لقد أعدوا مكانًا لمعيشتهم ، خلال تلك الفتـرة القاسية ، وبعد أن تفنى الحضارة تمامًا على كوكب الأرض ، سيعيدون تشغيل الجهاز على نحو عكسى ، فتعود الأرض إلى الدوران ، وتنتهى المرحلة القاسية ، ولايبقى غيرهم على السطح ، فيرثون الأرض كلها .

قال فى حيرة :

- يرثونها خالية من النبات والحيوان والطير ؟!

قال (رمزى) :

- إنهم يحتفظون بنماذج من حيواناتهم ، وطيورهم ونباتاتهم .. أو هم يتصوَّرون هذا ، فهم لايدركون أننا نسفنا كل ما أتوا به .

عقد القائد حاجبيه ، وقال :

- ولكن من الضرورى أن نبلغ هذا السلاح فى الوقت المناسب ، قبل أن ينجحوا فى تشغيله .

قالت (سلوى) فى لهفة .

- لقد جئنا لهذا السبب .. إننا نعرف كيف يمكنكم عبور الباب العجيب .. يكفى أن ترتدوا زيًا واقيًا ، وستعبرونه بأسهل مما تتصوَّرون .

استدار القائد إلى رجاله ، وقال :

- استعدوا يا رجال .. سنعبر الحاجز .

ثم التقى حاجباه فى حزم ، مع استطرادته :

ـ وسننقذ الأرض .

* * *

فى اللحظات التى يضيع فيها كل أمل ، تبرز فجأة مشيئة الله (سبحانه وتعالى) ..

المشيئة التي تتجاوز كل الحدود والقواعد ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها المخلوق سلاحه الجليدى أو كاد ، ظهر مخلوق آخر خلف (نور) ، وصوَّب إليه سلاحه الجليدى بدوره ..

وعندما ألقى (نور) نفسه أرضًا ، لم يكن يعلم بوجود المخلوق الثاني خلفه ..

وانطلقت الأشعة الجليدية ..

وسمع (نور) صوتًا كالفحيح ، جعله يلتفت خلفه ، ووقع بصره على المخلوق الثانى ، وقد تجمَّد تمامًا ، داخل قالب من الثلج ..

أما المخلوق الآخر ، فقد ألجمته المفاجأة ، عندما أصاب زميله فتجمَّد فى مكانه لحظة ، استغلها (نور) جيدًا ، فاندفع نحو المخلوق ، وركل سلاحه من يده ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا هذا .. لقد منحتنى فرصة مدهشة .

فقد المخلوق سلاحه ، ولكنه قاتل فى شراسة ، ودفع (نور) بعيدًا ، ثم ركله فى معدته بقوة ..

وشعر (نور) وكأن كتلة فولاذية أصابت معدته ، وألقته بعيدًا ، ولكنه نهض فى سرعة ، ورأى المخلوق يسرع نحو سلاحه ، فوثب إليه ، وركله فى وجهه بكل قوته ، وألقاه خارجًا ، ثم اختطف هو السلاح ، وقفز خلفه ..

نهض المخلوق ليهاجمه مرة ثالثة ، ولكن (نور) ضغط الكرة الشفافة ، كما رأى المخلوق يفعل من قبل ..

وانطلقت الأشعة الجليدية ..

وكما حدث مع المخلوق الأوَّل ، سقط الثانى داخل قالب من الثلج ، وهتف (نور) :

ـ عظيم .. بقى واحد منهم فحسب .

انطلق يعدو إلى القاعة ، حيث الشاشة التى تنقل حركة الأرض ، والإيقاع الرتيب يواصل تردده فى كل مكان ..

وفجأة انقضّ عليه المخلوق الأخير ..

انقضّ عليه على نحو مباغت ، وأطاح بسلاحه الجليدى ، ثم حمله فى قوة ، وألقاه نحو الجدار فى عنف ..

وارتطم (نور) بالجدار ، وتأوّه فى ألم ، ولكنه تحامل

على نفسه ، وواجه المخلوق ، الذى انقضّ عليه مرة ثانية ، وحمله فى سرعة ، ثم ألقاه أرضًا ، وهوى بقدمه على معدته ..

وأطلق (نور) شهقة ألم رهيبة ، وأمسك معدته بكفيه ، والدماء تتصاعد إلى فمه ، وتسيل من طرف شفتيه ، فى حين تراجع المخلوق مرة ثانية ، استعدادًا للانقضاض عليه انقضاضة أخيرة ..

وكان (نور) واثقًا من أنها الأخيرة ..

الانقضاضة السابقة مزّقت معدته ، وكادت تقتله ..

والقادمة ستورده حتفه حتمًا ..

ولكن فجأة انطلق شعاع جليدى فى القاعة ..

وتجمّد المخلوق الأخير داخل قالب من الثلج كزميليه ..

وبحركة حادة ، التفت (نور) إلىّ حيث انطلقت الأشعة ، ورأى (نشوى) هناك ، عند مدخل القاعة ، وهى تحمل السلاح الجليدى ، وتقول :

ـ أنقذتك مرة ثانية يا أبى .

حدّق (نور) فى وجهها بدهشة ، وقال :

ـ (نشوى) ..لقد ..

لم يستطع إتمام عبارته ، مع مذاق الدم فى حلقه ، ولكنها فهمت ، وقالت :

ـ أعلم يا أبى .. لقد انخفض عمرى مرة أخرى .

كانت تبدو هذه المرة كطفلة فى الثانية عشرة من عمرها ، فاتسعت عيناه فى هلع ، وهو يقول :

ـ لابد أن نوقف هذا .. لابد .

اشتعل مع آخر كلماته مصباح أزرق ، أعلى الشاشة ، وراح الإيقاع الرتيب يتردد بسرعة أكبر ، فهتف (نور) :

ـ وهذا أيضًا ..

وأسرع إلى الجهاز ، والدماء تسيل من بين شفتيه فى غزارة ، وراح يفحص كومة الأزرار التى أمامه ، هاتفًا :

ـ أيها يوقفه .. رباه .. أيها يوقفه .

صعدت إليه (نشوى) ، وألقت نظرة عامة على الأزرار ، ثم قالت فى حزم ، وهى تضغط زرًا فى منتصفها :

ـ هذا .

لم تكد تفعل ، حتى توقف الإيقاع الرتيب فجأة ، وانطفأت كل المصابيح ، ثم اختفت صورة الأرض من الشاشة ، فى نفس اللحظة التى اقتحم فيها رجال فرقة الطوارئ المكان ، وهتفت (سلوى) بينهم :

ـ (نور) .. (نشوى) .. أأنتما بخير ؟

أما قائد الفرقة ، فقد اتسعت عيناه فى ذهول ، وهو يقول :

- رباه !.. أهذه البناية الضخمة هى السلاح الرهيب ؟

قال (نور) ، وهو يمسك معدته فى ألم :

- نعم .. ولكنه لم يعد يعمل .

ثم أشار بيده إلى المخلوقات المتجمدة ، واستطرد :

- وهؤلاء أيضًا .

قالها ومادت به الأرض ، ثم هوى فاقد الوعى ..

وهتفت (نشوى) مع أمها فى صوت واحد :

- يا إلهى !

وأسرعتا إليه فى لحظة واحدة ، وعندما التقتا عنده ، حدقت (سلوى) فى وجه ابنتها ، وقالت :

- (نشوى) .. إنك ..

قاطعتها (نشوى) :

- فيما بعد يا أمى .. فيما بعد .

ولكن قلب (سلوى) انقبض فى هلع ..

صحيح أن الأرض قد نجت ، ولكن ابنتها مازالت تواجه الخطر ..

خطر الموت بانخفاض عمر بلا نهاية ..

وضد الزمن.

★ ★ ★

ثم أشار بيده إلى المخلوقات المتجمدة ، واستطرد :

- وهؤلاء أيضًا ..

٩ ـ الختـــام..

سار الدكتور (ناظم) فى خطوات سريعة ، عبر الممر المؤدى إلى حجرة جراحات الطوارئ ، واتجه مباشرة إلى (رمزى) و (محمود) ، اللذين يجلسان أمام حجرة الجراحات ، وسألهما :

ـ كيف حال (نور) الآن ؟

أجابه (رمزى) :

ـ لقد أصيب بتمزق فى معدته ، وهم يجرون له جراحة بالداخل ، ولكن الدكتور (حسن) يؤكد أنه سيشفى بإذن الله .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه متفهمًا ، وقال :

ـ حمدًا لله .

سأله (محمود) فى اهتمام :

ـ وماذا عن (نشوى) ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ مازال الدكتور (حاتم) يحاول السيطرة على انخفاض عمرها المستمر ، وأمها ترافقها طوال الوقت ، ولكن يبدو أن الأمر ليس سهلاً .

سأله (رمزى) فى مرارة :

ـ كم يبلغ عمرها الآن ؟

أجابه فى خفوت :

ـ تسع سنوات .

زفر (رمزى) فى توتر ، وأشاح بوجهه ، مغمغمًا :

ـ يا للمسكينة !

شعر (محمود) بما يعانيه (رمزى) ، فقال محاولاً الخروج من الحديث :

ـ ماذا فعلتم بالمخلوقات المتجمدة ، والسلاح الضخم ؟

أجابه الدكتور (ناظم) :

ـ لقد اتخذنا قرارًا بنسف ذلك السلاح؛ لمنع أية محاولة لاستخدامه فى المستقبل ، وتلاشى خطره إلى الأبد ، أما بالنسبة للمخلوقات ، فقد قتلتها الأشعة الجليدية ، ولكننا تمكنا من فحصها ، وهى لذكر وانثيين ، لم يجدوا الوقت الكافى لبدء حلقة جديدة من حضارتهم .

قال (محمود) :

ـ لم يكن مقدرًا لحضارتهم أن تستمر .

ثم التفت إلى (رمزى) ، يسأله :

ـ أليس كذلك يا (رمزى) ؟

ولكن (رمزى) لم يجب ..

إنه حتى لم يسمع ما قاله (محمود) ..
كان ذهنه شاردًا ، يفكر فيها ..
فى (نشوى) ..
لم يشعر فى حياته كلها بالخوف عليها ، مثلما يشعر الآن ..
لقد تحققت نظرية الدكتور (حاتم) ..
انخفاض عمرها لم يتوقف عند حاجز السنوات العشر ..
إنه يواصل الانخفاض ..
وسيواصله حتى تتلاشى ..
أو يعثروا على الحل ..
وفى أعماقه كان يشعر أن الحل يكمن فى تلك الرسالة ، المغروسة فى عقلها ..
ولكن كيف يخرج هذه الرسالة ؟..
كيف ينقذها ؟!..
كيف ؟!..
وبقى سؤاله حائرًا ضائعًا ..
وبلا جواب .

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥